الرأي الحر وأنماطه في الخطاب القرآني

((الرأي الحر، الخطاب القرآني))

أ.م.د حسن عبد الهادي الدجيلي أ.م.د تغريد ضياء مشفي

The free opinion and their styles in the speech of Holy Quran

The free opinion ,the speech of Holy Quran

PhD. Asst. Hassan Abdul Hadi Al Dujaili

PhD.Asst. Taghreed Dhia' Mashfa

1. the free opinion mentioned in the holly Quran many times and this considers a solid proof for Allah's All Mighty wisdom and fair . because HE must to listen for his slave's opinion and let for that whatever that slave was
2. we conclude from the free opinion that mentioned in the Holly Quran the wide expert and culture for the Holly Quran approach that we need in daily dealing
3. if the Muslim individual used to express about his free opinion then this considers the spiritual basis for Islamic civilized construction

La libre opinion et ses modèles dans le discours coranique (La libre opinion, le discours coranique)

Prof. ajoint: Hassan Abdul-Hadi Al-Dujaili…
Prof. ajoint : Taghreed Dia Mushfee…

1. La libre opinion est venue largement dans le livre d'**Allah** Le Tout-Puissant , et cela considéré comme une preuve constante de la sagesse d'**Allah** -Le plus haut- et de sa justice, car par sa justice il aurait dû entendre et permettre l'opinion de son serviteur quel que soit cet esclave.

2. On peut connaître discerner des vues libres agis dans le noble **Coran** l'expérience et la culture nécessaires dans l'affaire quotidienne d'enseignant coranique.

3. Si le musulman pratique à exprimer sa libre opinion, ça sera sans-doute la base spirituelle de la construction de la civilisation islamique.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خيرة خلقه أجمعين، حبيب إله العالمين، وسيد الأنبياء والمرسلين، أبي القاسم محمد بن عبد الله، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الأخيار المنتجبين، ومن سار سيره، وانتهج نهجه إلى قيام يوم الدين، أما بعد :

فمن الأمور التي علا صداها، وفاح عبقها، وتفشى نسيمها، وعم الأرجاء صيتها مصطلح (الرأي الحر) الذي يعد صلب (النظرية الديمقراطية)، وآلة شخصية الفكر الإنساني، ومنهج التعامل المطلق، والحياة التي لاتفقه الخوف، والعمل المنطلق من داخل نية خالصة، فقد تناول هذا المصطلح الكثير من السياسيين، والفلاسفة، وحملة الفكر الإجتماعي، وأقيمت حوله الكثير من المؤتمرات، والندوات التي طرحت من خلالها الوسائل التي بوساطتها يتم تطوير هذا المصطلح، والإعلاء من شأنه .

وقد قررنا بعد الإتكال على الله دراسة مصطلح (الرأي الحر) في كتاب الله تعالى، لأهميته فيه من نواحٍ لاحصر لها، لعلَ أهمها أن نظرية الحوار التي تسبق نظرية إبداء وجهة النظر في أي موضوع لم تأتنا من الغرب كما زعم الكثيرون، وإنَما هي نظرية أصيلة في الفكر الإسلامي قد تشير إلى أن الغرب هم الذين استوردوها منا، وليس العكس، وتحليق هذا المصطلح في الفضاءات القرآنية بلاحدود هو الذي يوسع من مدارك المتلقي الإسلامي في كتاب الله مما يؤسس – في كثير من الأحيان – إلى نظرية الإجتهاد على مستوى الخطاب القرآني خاصة، والخطاب الإسلامي عامة .

وقد جعلنا البحث يتحرك باتجاهين، هما : الإتجاه النظري، وفيه: طرحنا كل أنماط الرأي الحر في الخطاب القرآني، والإتجاه التطبيقي: وفيه طبقنا على عينة قرآنية، هي : الرأي الحر الموجه إلى الله، لتكون هذه العينة قمة توضيح صورة الرأي الحر القرآنية للمتلقي .

وقد وسم هذا البحث بـــ (الرأي الحر وأنماطه في الخطاب القرآني)، وقد قســمناه على ثمانية مباحث، هي : –

المبحث الأول: الرأي لغة واصطلاحا .

المبحث الثاني: نبذة عن تاريخ الرأي الحر في الثقافة العربية.

المبحث الثالث: الرأي الحر الإنساني، وأنماطه .

المبحث الرابع: الرأي الحر للجن، وأنماطه .

المبحث الخامس: الرأي الحر للحيوان، وأنماطه .

المبحث السادس: الرأي الحر للجماد، وأنماطه .

المبحث السابع: الصورة الفنية للرأي الحر في كتاب الله .

المبحث الثامن: الرأي الحر الموجه إلى الله تعالى .

ولم نبغ مما قدمنا – إن كنا قدمنا شيئا – إلاَ وجهه تعالى، وخدمــة كتابــه العزيز، والبحث العلمي، راجين أن يكون حجتنا في ذلك اليوم الذي لاينفع فيه مال، ولابنون إلاَ من أتى الله بقلب سليم .

الباحثان

المبحث الأول
الرأي لغة واصطلاحا

أ- **الرأي لغة :**

رأى يرى رأيا: النظر بالعين، والقلب، والرؤيا : النظر في المنام تحديدا، والرأي : هو النظر الخاص بالشخص(١) ، والمجاز يذهب مع الرأي مذهبا هو : وجهة نظر الشخص في أمر ما(٢) .

ولهذا فالمفهوم اللغوي المجازي قريب جدا من دلالة الرأي التي نبتغيها .

ب- **الرأي في القرآن الكريم :**

ورد الفعل { رأى ومشتقاته } في كتاب الله تسع عشرة وثلاثمائة [٣١٩] مرة(٣).

أمَا المواقع التي وردت ضمن هذه المشتقات التي تتعلق بالرأي الحر، فكانت في الآيات الآتية:-

- قال تعالى : ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴾(٤).
- قال تعالى : ﴿ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾(٥).
- قال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ ﴾(٦).
- قال تعالى : ﴿ أَلَا تَرَوۡنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلۡكَيۡلَ وَأَنَا۠ خَيۡرُ ٱلۡمُنزِلِينَ ﴾(٧).
- قال تعالى : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ ﴾(٨)

---

(١) ينظر : لسان العرب / مادة (رأى) .

(٢) ينظر : أساس البلاغة / مادة (رأى) .

(٣) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / مادة (رأى، ومشتقاتها) .

(٤) الأنعام / ٧٤ .

(٥) الأنفال / ٤٨ .

(٦) يوسف /٢٤. ينظر في تفسيرها مثلا: مجمع البيان في تفسير القرآن ٢٢٥/٥.

(٧) السورة نفسها / ٥٩ .

(٨) الصافات / ١٠٢ .

- قال تعالى : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴾[١].
- قال تعالى : ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴾[٢].

وقد ورد مصطلح (رأي) في آية واحدة فقط، وهي قوله تعالى : ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ ﴾[٣].

وانثالت موارد الرأي في القرآن الكريم عن طريق ورود مصطلحي الحوار والجدل فيه، فما يتعلق بالمصطلح الأول، فقد ورد مع مشتقاته ثلاث [٣] مرات في كتاب الله[٤] ، وما يتعلق بالمصطلح الثاني – الجدل –ورد سبعاً وعشرين [٢٧] مرة فيه[٥]. ووردت سورة كاملة باسم (المجادلة)، مع العلم أن زيادة رصيد الجدل على الحوار في القرآن الكريم مرجعه الى : أنّ الجدل قد يقوم على الكثير من أمور اللافكر، والهوى، والباطل[٦] بينما يقوم الحوار على الفكر، والحق من دون غيره[٧] لذلك قل رصيده في كتاب الله .

وظهرت آلتا الحوار، والجدل، وهي : (قال، ومشتقاتها) في القرآن الكريم كثيرا حيث بلغ رصيدها: خمساً وعشرين وسبعمائة وألف [١٧٢٥] مرة[٨].

---

(١) غافر / ٢٩ .

(٢) النجم / ١٢ .

(٣) هود / ٢٧ .

(٤) تنظر : الكهف / ٣٤ و ٣٧، المجادلة / ١ .

(٥) تنظر : البقرة / ١٩٧، النساء / ١٠٧ و ١٠٩ (مرتان)، الأنعام / ٢٥ و ١٢١، الأعراف / ٧١، الأنفال / ٦، هود / ٣٢ (مرتان) و هود / ٧٤، الرعد / ١٣، النحل / ١١ و ١٢٥، الكهف / ٥٤ و ٥٦، الحج / ٣ و ٨ و ٦٨، العنكبوت / ٤٦، لقمان / ٢٠، غافر / ٤ و ٣٥ و ٥٦ و ٦٩، الشورى / ٣٥، الزخرف / ٥٨، المجادلة / ١ .

(٦) ينظر مثلا : الحوار في الفلسفة / ١٧، والحوار في الخطاب القرآني / ٢٢ .

(٧) ينظر مثلاً: الجدل وجدل الجدل / ٤٤، ولعبة الجدل / ١٢ .

(٨) ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / مادة (قول) .

وإننا لنرى أن من معاني(بيّن ومشتقاته) الذي ورد في كتاب الله كثيرا[١]: إبداء الرأي[٢] ، والشيء نفسه قد يقال عن مصطلح (بلاغ) – الذي ورد في كتاب الله أيضا[٣].

ولقد أكد الخطاب القرآني على الرأي الحر حينما فتح رب العزة باب إبداء الرأي معه، وهذا ما نجده في مجموعة من النصوص القرآنية، من جملتها : –

- قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٤]
- قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ ﴾[٥].
- قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾[٦].

ولقد أشار الخطاب القرآني إلى المصادر التي تؤسس موهبة إبداء الرأي عند الإنسان، وتنميها. ومن جملة ذلك، ما يأتي :

أ- التشجيع على كسب الثقافة عن طريق ماورد حول القراءة[١]،

---

(١) ورد الفعل (بين، ومشتقاته) : ثماني وثمانين ومائتين [٢٨٨] مرة في كتاب الله (ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / مادة (بين)) .

(٢) من أمثلة ذلك، قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾ (الرحمن / ١ – ٤) .

(٣) تنظر : آل عمران / ٢٠ .

(٤) البقرة / ٣٠ .

(٥) الأعراف / ١١ – ١٢ .

(٦) البقرة / ٢٦٠ .

وطلب العلم[٢].

ب- التأكيد على التركيز والتفكر عند قراءة كتاب الله[٣].

ج-اكتساب الحكمة التي هي بذرة الرأي الخام[٤] .

وهذه النقاط هي السر وراء الكم الهائل من تفاسير القرآن الكريم منذ أن وُجِد التفسير القرآني، وإلى يومنا هذا، فكل تفسير ذو رأي مختلف عن غيره بهذا القدر أو ذاك، وإذا كان ذلك ممكنا في كتاب الله وهو من هو – حينما تتوافر الشروط الصحيحة للعلم الذي ورد في حديث سيد المرسلين (ص) : ((من قال في القرآن شيئا بغير علم فليتبوأ مقعده من النار))[٥]– ففي غيره بديهة لاتقبل الجدل، أو النقاش .

من ذلك نجد أن القرآن الكريم هو المصدر الأول الذي أثرى الثقافة الإنسانية عامة، والثقافة العربية خاصة بالرأيَ الحر .

ج-<u>الرأي في الحديث الشريف :</u>

---

(١) وردت القراءة، ومشتقاتها في كتاب الله : ست عشرة [١٦] مرة (تنظر : الأعراف / ٢٠٤، يونس / ٩٤، النحل / ٩٨، الإسراء / ١٤ و ٤٥ و ٧١ و ١٠٦، الشعراء / ١٩٩، الحاقة / ١٩، الإنشقاق / ٢١، الأعلى / ٦، المزمل / ٢٠ (مرتان)، القيامة / ١٨، العلق / ١ و ٣)، مع العلم أن أول آية نزلت على الرسول (ص) صُدّرت بفعل الأمر (اقرأ) (تنظر : العلق / ١) .

(٢) ورد العلم ومشتقاته في كتاب الله : إحدى وثمانين وسبعمائة [٧٨١] مرة (ينظر : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / مادة (علم)) .

(٣) تنظر : المزمل / ٢٠ (مرتان) .

(٤) وردت الحكمة عشرين [٢٠] مرة في كتاب الله (تنظر : البقرة / ١٢٩ و ١٥١ و ٢٣١ و ٢٥١ و ٢٦٩ (مرتان)، آل عمران / ٤٨ و ٨١ و ١٦٤، النساء / ٥٤ و ١١٣، المائدة / ١١٠، النحل / ١٢٥، الإسراء / ٣٩، لقمان / ١٢، الأحزاب / ٣٤، ص / ٢٠، الزخرف / ٦٣، القمر / ٥، الجمعة / ٢) .

(٥) مسند أحمد ٢ / ١١١ .

حينما نستقري سيرة الرسول (ص) مع أصحابه نجد أن هنالك مواضع شجع فيها الرسول (ص) على إبداء وجهة النظر[١]، ولاسيما أن القرآن أكد في آية من آياته على المشورة[٢] ، ومن المعروف أن المشورة تتبني بمجموعة من الآراء، وثمة روايات مؤكدة تشير الى أن سيد المرسلين (ص) كان يسمع حتى من غير المسلمين[٣] ، ويشجع على الإجتهاد في الدين لمن كان متفقها فيه[٤].

ولابد من أن يكون الرسول (ص) أبرز من شجع على الرأي الحر، ولاسيما أن كتاب الله قد أكد هذا الأمر كما بينا ذلك سابقا.

د- <u>الرأي في الإصطلاح:</u>

حينما نتطرق لثيمة الرأي في الإصطلاح علينا التقديم للخطاب الثقافي الغربي، لالأن الغربيين الوحيدون الذين حققوا الرأي، والعرب قد فقدوا في خطابهم الثقافي هذه الثيمة، لكن لأن تجربة الغربيين أقدم، وأوسع من تجربة العرب .

وعلى هذا الأساس سنجد أن أول المثقفين العرب الذين هم روّاد تجربة الرأي الحر أولئك الذين ترعرعوا في بلدان غربية، أو تأثروا بالفكر الغربي، أو كان لهم رد فعل على استبداد بعض المفكرين العرب، فضلا عن عدم تحرجهم من عرض نظرية الرأي الحر في البلدان الغربية .

وعلى ذلك آثرنا تقسيم هذا الموضوع على قسمين رئيسين، هما : -

أ. دلالة الرأي الحر في الخطاب الثقافي الغربي.

ب. دلالة الرأي الحر في الخطاب الثقافي العربي.

أ- <u>دلالة الرأي الحر في الخطاب الثقافي الغربي</u>

---

(١) ينظر مثلا : السيرة النبوية ٢ / ٢٢، ٥٤، ٦٦، ١١٠، وتاريخ الرسل والملوك ١ / ٤٥، ٥٨، ٧٧، ١١٣، ومروج الذهب ومعادن الجوهر ١ / ١١، ٢١، ٣٣، ٥٥، ١٠٠.

(٢) تنظر : آل عمران / ١٥٩ .

(٣) ينظر مثلا : تاريخ اليعقوبي / ١٣، ٢٢، ٥٥ .

(٤) ينظر مثلا : الإجتهاد في الفكر الإسلامي / ٦٧ – ٧٧ .

الرأي في الخطاب الثقافي الغربي يحتضنه أي مصطلح من المصـــطلحات الآتية:

Opinion أو View أو Idea أو Thought أو Suggestion أو Advice

وقد فرَّق المفكرون الغربيون بين مصطلح الرأي من جهة، ومصطلح الرأي الحر من جهة ثانية، من خلال أن الرأي بصورته العامة يشترك فيه كل الناس من دون تمييز: جاهلهم ومثقفهم، بسيطهم ومعقدهم سوقيّهم وتقنيّهم، بينما الرأي الحـــر: هو الذي تختص فيه ثلة من المثقفين الذين امتازوا بمميزات لاينافسهم فيها إلا نزر قليـــل من البشر(١) .

أما الرأي الحر (The Absolute of an opinion) في الخطاب الثقافي الغربي فقد توزع بين أكثر من مفهوم. وأشهر هذه المفاهيم، هي : –

- إبداء وجهة النظر بكل حرية، وبإسلوب سهل واضح، آخـــذ بنظـــر الاعتبـــار المصلحة العامة في ذلك(٢) .
- هو الموقف الذي يتخذه الفرد تجاه حالة ملحة، على شرط أن يكون هذا الفـــرد مطلعا على كل دقائق الموضوع المطروح بكل وضوح، مـــع الأخـــذ بنظـــر الاعتبار ثقافة المتلقي، ومحاولة ملاقحتها مع ثقافة صاحب الفكرة(٣) .
- هو الفكرة المستندة على خلفية ثقافية عميقة، وتجربة إنسانية رفيعة، متخذة من الحوار أساسا لتثبيت الفكرة، بعيدا عن التسلط، وفرض القوة، والإكراه(٤).

---

(١) ينظر مثلا :

The culture & AL human: 111, Humanly of thought: 55 – 70, The philosophy language: 44.

(٢) ينظر مثلا :

Contemporaries' culture of tribulation: 55 – 66, The human of future: 133 – 135.

(٣) ينظر مثلا :

Mind of knights: 78 – 82, Gold of methods: 55, Language of light: 99.

(٤) ينظر مثلا :

The democrats in the world: 90 – 111.

- مخالفة الأصل باستقراء سلبيات الدلالة العامة للشيء، وتحويل السلبي إيجابيا، بإتباع نظرية المناقشة، والتحليل العلمي، بلا أي ضغوط(١) .
- الحوار الذي يتخذ سبلا جديدة للوصول إلى منهج جديد لتطوير صورة الأصل(٢).
- هو النظرية النابعة من سماع هالة واسعة من المفاهيم(٣).
- هو النظرية التي تتخذ من الفلسفة فكرا لها، ومن المنطق ورقة عمل لحل المشكل القائم(٤).

من كل هذه التعريفات نصل إلى مشتركات للرأي الحر في الثقافة الغربية الحديثة، وهذه المشتركات تتلخص في مايأتي: –

- الخلفية الثقافية المؤهّلة.
- سماع الآخرين في وجهات نظرهم .
- حل مشكلة معينة .
- مراعاة المصلحة العامة .

وعلى هذا الأساس فالرأي الحر يقوم على بناء فكر جماعي، فهو ليس فكرا شخصيا منحسراً.

ب- <u>دلالة الرأي الحر في الخطاب الثقافي العربي</u>

من يستقري الفكر العربي الحديث الذي ناقش دلالة الرأي الحر، فإنه يجده قد أخذ مجالات متعددة من الحياة، لعل من أهمها:-

- الحياة الإجتماعية

---

(١) ينظر مثلا :

The democrats of history: 99 – 100.

(٢) ينظر مثلا :

The democrats in the world: 22 – 33.

(٣) ينظر مثلا :

Contemporaries' culture of tribulation: 67 – 88.

(٤) ينظر مثلا :

Education of talk: 3 – 12.

- الحياة الثقافية
- الحياة الدينية
- **الحياة الإجتماعية /**

أتخمت الحياة الإجتماعية العربية الحديثة بالمشكلات التي تطالب بالحلول، بيد أن الذي يحدث هو شحة الحلول لتلك المشكلات، وكثيرا ماتكون هذه الحلول الشحيحة هي أنصاف حلول، وليست حلولا نهائية، لهذا احتيج إلى مشورة أهل العقد، والحل، وكثيرا ما لايهتدون إلى حل المشكل، لذا يتدخل النقد البناء لفض ماكان مشكلا، وشائكا. والملاحظ أن هذا الطرف هو من توجه إليه مطارق المجتمع مرة بالإنتقاد، أو التعرض له مباشرة، ومرة بصور مختلفة. ولعل من جملة محن الرأي الحر الإجتماعية هي : الإهتمام بالمرأة، ورفع شأنها، وإذا كانت بعض هذه النظريات التي نادت برفع واقع المرأة سلبية فليست كل النظريات التي نادت بحقوق المرأة كذلك، بل على العكس فكثير من تلكم النظريات كانت إيجابية، فمن جملتها:-

- المرأة كائن حي لها حق التعلم، والتعليم، وقيادة العملية التعليمية حالها حال الرجل، فمن علم المرأة ضمن مجتمعا صحيا في جميع مرافقه(١) .
- لم يوجد الحوار حكرا على الرجل، فللمرأة دور كبير فيه، فحينما كان للرجل إختصاصاته الإجتماعية التي لا ينافسه فيها أحد، فللمرأة اختصاصاتها التي لاينافسها فيها أحد أيضا، فالإفادة من رأي الجنس اللطيف يحدث تكاملا إنسانيا في الفكر(٢).
- للمرأة الرأي الأول والأخير في اختيار شريك الحياة التي يتوافق معها في كل صغيرة وكبيرة، وليس في الأمور الشخصية فقط(٣).

---

(١) ينظر مثلا : الفكر الحر ومشاكل العصر/ ٢١ – ٢٥، والحوار النسوي في المجتمع الذكوري/ ٤٨ – ٥٥، وتشضي الفكر / ٥٥ – ٦٦ .

(٢) ينظر مثلا : المبادىء المتوهمة في النظرية النسوية المعاصرة / ١٣٣ – ١٤٤، وقواعد التهشيم الإجتماعي / ٣٤ – ٣٦ وسيناريو التفكير الإجتماعي / ٧٧ – ٨٨ .

(٣) ينظر مثلا : ناطحات الإختلاف الفكري / ٦٦ – ٧٢، وجدليات التوتر / ٨١ – ٩٩، وسنفونية الوتر المتخلخل في المجتمع الراهن / ١١ – ٣٣ .

ومن ضمن المشكلات الإجتماعية التي صارت متنازعة للآراء المتنوعة هي السلطة الإجتماعية الدكتاتورية. هذه السلطة التي تبدأ من البيت حيث السلطة الأبوية على كل أفراد الأسرة[١]، ثم تتنامى هذه السلطة لتكون سلطة الكبير سنا على الصغير[٢]، ثم تتوسع أكثر مع سلطة العمل حيث سيادة رئيس العمل على المرؤوس[٣]، وسيادة صاحب المال على من يفتقده[٤]، ومن جراء هذه القيم الحياتية الطبيعية في المجتمع العربي تنقلب موازين الكثير من القيم الأصيلة، والمبادىء العريقة لتتحول إلى قيم منفعية ليس إلاَ[٥].

- **الحياة الثقافية/**

قد يتبادر الى ذهن المتلقي أن الثقافة العربية مبرأة من النقد[٦] ، ومن ثم فهي لاتصاب بوجهات نظر الرأي، والواقع أن الدلالة الثقافية هي الأخرى عانت من ويلات المعتقدات التي صبت حصة الأسد فيها على سواحل اللاثقافة، ومن ثم اللامثقف، حيث أن طموح المنطق في الثقافة صار مشوشا إن لم يكن معدوما

(١) تنظر مثلا : السلطة الأبوية في الفكر الإجتماعي العربي / ٥٣ – ٥٧، والخطاب الذكوري في البنية الأجتماعية العربية / ١٨ – ٢٢، والدكتاتورية الأبوية في العالم / ١١١.

(٢) ينظر مثلا : الهيمنة الإجتماعية / ٣٣ – ٦٦، والفكر الإجتماعي المتعالي / ١١٢ – ١٢٢، والأنا المرتفعة / ٩٠ – ١٠٠ .

(٣) ينظر مثلا : التصنيم في الخطاب الإجتماعي الإنساني / ٨٢ – ٨٤، وجدليات السلطة الإنسانية / ٧١ – ٧٣، وكاتدرائيات الحكومة العربية الإجتماعية / ٨٨ – ٩٩ .

(٤) ينظر مثلا : جدليات التوتر / ٢٢٢ .

(٥) ينظر مثلا : الدكتاتوية الإجتماعية / ٨٨ .

(٦) من الخطأ إيمان بعض المحسوبين على الفكر الثقافي، بأن الثقافة إطار عام يتحلى به كل من أكمل تعليمه الأكاديمي العالي، إذ يشترطون إرتباط الثقافة بالقراءة والكتابة فقط – وإن كانتا الآلة الأولى لأي ثقافة – إلاّ أن الخلفية الأخلاقية، وما يستحصله الفرد من مجتمعه سواء كان سلبا أو إيجابا، وتأثير الفرد على مجتمعه، واتجاهاته المختلفة، ونتاجاته في كل المجالات، ومعتقده الديني، والسياسي – إن وجد –، يتعاضد مع القراءة والكتابة (ينظر مثلا : الثقافة والمثقف/ ١١، والتفكير الثقافي العربي / ٥٥، والمطرقة والسندان في التيارات الثقافية العربية الحديثة/ ٢٣ – ٢٦، ونقد الثقافة / ٨٨) .

أساسا، ولاسيما إذا ما علمنا أن الخطاب الثقافي العربي المنتج – في أكثره – لاوجود له إلاَ خارج خارطة الوطن العربي، فالثقافة التي حلقت في أجواء أكثر البقاع العربية إنَما كانت ثقافة السلطة السياسية، فكل ماتطمح إليه أكثر الأنظمة العربية هو ما يسود، وعكسه يصب أكثره في صورة المعارضة السياسية أكثر منها معارضة للجهل، واللامعرفة، وبذلك تضخم الرأي الحر في عالم الثقافة بين ماهو شكل ثقافي لامضمون فيه، وبين ما له مضمون ثقافي يحل محل الشكل أيضا. وبهذا استقر الرأي الحر الحقيقي مع النوع الثاني، وهو إطلاق الفكر الثقافي من دون حدود، أو خطوط حمراء .

فمن جملة السلبيات الثقافية التي تطرق لها المثقف العربي الحر، ما أصاب الثقافة الأدبية بشقيها الكبيرين : الشعر، والسرد، فالأول بوصفه التراث الثقافي الأدبي العربي الذي ظل مستمرا في الخطاب الثقافي العربي الحديث، والثاني – وإن كان يمتلك بذورا تراثية بالمفهوم العام – فهو مستورد من الغرب، نقول أن هذين الرافدين عانا ما عانا من المنتج مرة، ومن المتلقي مرة أخرى، فكثيرا ماكان النص غير واضح أو مبهم. لهذا جاء إزميل المثقف الحر ليبين هذه السلبية الكبرى، إذ إن روح النص الأدبي هي التوصيل، فلو فقد التوصيل لما فهم المقصود أبدا(١)، وثمة أمرٌ آخر هو الموهبة الأدبية التي إذا تنفست روح الأديب صار مبدعا وحلق في فكر المتلقي عوالم متنوعة وليس عالما واحدا(٢)، ولابد للخطاب الأدبي العربي الحديث من أن يكون هادفا رساليا غايته إصلاح ظاهرة معينة بغض النظر عن مداها(٣) .

- **الحياة الدينية /**

(١) ينظر مثلا : الجواهري ومعارضته شعريا / ٧٨ – ٨٢، وإبراهيم نصر الله والحراثة خارج مدار السرد / ٢٢ – ٣٣، وتشابك البعد الروائي مع البعد المسرحي عند عبد الرحمن الربيعي/ ٧ – ١٥، والسرد وشعريته في الخطاب الأدبي التسعيني / ١٥ – ٢٢ .

(٢) ينظر مثلا : سرد القصيدة وقصيدة السرد / ١٠ – ١٨، وإيقاع الصمت في الرواية العربية الحديثة (من ١٩٩٠ – ٢٠٠٠) .

(٣) ينظر مثلا : أسطرة البنية القصصية الشعرية / ٩٠ – ٩٣ .

من ينظر إلى الدين من منبعه الأول القرآن الكريم سيجد ألاّ دكتاتورية، أو تزمت في الدين. ولعل شعار هذه البديهة قوله تعالى : ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ ﴾[١]، ولم يُكره الرسول (ص) أحدا على الدين[٢]، وحتى بعد ولادة المذاهب الإسلامية، لم نجد أحدا من زعامات هذه المذاهب يُكره الآخر[٣].

وفي العصر الحديث نجد الكثير من التخوف للوصول إلى البحث الحر داخل المؤسسة الدينية، على الرغم من وجود توجهات أكاديمية دينية ذات بعد علمي منضبط، وعدم وجود الهوى في أكثرها، ولهذا وُجدت الآراء الحرة التي ناقشت المستجدات العصرية التي ولدت في المرحلة الحالية. وقد عانى الكثير من المفكرين الدينيين من مجتمعاتهم إلى درجة التكفير، والخروج عن الإسلام في الوقت الذي كانوا براءً من هذه التهم المجحفة، واللامشروعة، فقد تعرض هؤلاء المفكرون إلى قضايا المجتمع من الناحية الدينية، وحاولوا مناقشتها، من جملة ذلك:-

- النفاق، وأخطاره الإجتماعية، وقد أكدوا على أن هنالك علاجين يجب خلطهما معا، وتطبيقهما حتى يبتر النفاق من جذوره، وهما : التطبيق العملي لما يقوله الشخص نظريا، وهجرة الغيبة نهائيا[٤] .
- التمسك بالصدق، وإبعاد بذور الكذب نهائيا، فالصدق هو كناية عن الإيمان جملة وتفصيلا[٥] .
- جعل القرآن الكريم، وأحاديث الرسول (ص) – عن طريق الأساليب الحديثة الهادفة – معاصرة، ومفهومة لكل الناس[٦].

المبحث الثاني

(١) البقرة / ٢٥٦ .

(٢) ينظر مثلا : تحليل الحديث الشريف من وجهة نظر معاصرة / ٤٦ – ٥٤ .

(٣) ينظر مثلا : نظرية المذاهب الإسلامية / ٧٢ – ٧٥ .

(٤) ينظر مثلا : الثنائيات المتضادة في الفكر الإسلامي التطبيقي / ١٨ – ٢٣ .

(٥) ينظر مثلا : نفسه / ٥٥ – ٦٦ .

(٦) ينظر مثلا : المناهج الحديثة في تفسير القرآن الكريم / ٣ – ٨ .

نبذة عن تاريخ الرأي الحر في الثقافة العربية

حينما نبدأ بالثقافة العربية التراثية التأسيسية – عصر ما قبل الإسلام – سنجد صورة عامة للرأي هي رأي القبيلة التي لها قوانينها وأفكارها – منه الإيجابي، ومنه السلبي –، ولايمكن الخروج على قوانين هذه القبيلة، ومن خرج أو حاول الخروج فمصيره الخلع من القبيلة، وما ظاهرة الصعلكة إلاَ نتيجة الرأي الحر على كثير من سلبيات القبيلة(١) ، فضلا عن وجود الرأي الديني الذي يخالف الفكر الديني السائد، وذلك ماتمثل بالموحدين الذين شكلوا ظاهرة مهمة في الحياة العربية قبل الاسلام. ولعل عدم تطبيق مقتضيات التوحيد على الأفراد غير الموحدين من جهة، وتحريف الكثير من فكر بعض الديانات التوحيدية غير المتلائمة مع ديانة الشرك التي أخذ بها الكثير من اللاموحدين العرب من جهة ثانية، هو الذي جعل العرب اللاموحدين لايصطدمون بالموحدين(٢).

ومن يستقري الخطاب الثقافي العربي قبل الإسلام يجد السيادة للخطاب التقليدي – اللاحر في الأكثر – من خلال تمثل القصيدة لشكل واحد لاتغادره من طلل، إلى رحلة، إلى صيد، إلى غرض، حتى قيل إنّ ماوجد من بعض النصوص التي انعدم فيها الطلل بأنها لم تصل كاملة(٣) ، أمّا الخطاب الثقافي الحر فتمثل بالصعاليك الذين ترك أكثرهم الطلل فدخلوا إلى الموضوع مباشرة، وكان لهم – في الغالب – موضوع واحد لكل القصيدة(٤).

---

(١) ينظر مثلا : القبيلة الجاهلية سلطة العرب / ٤٠ – ٥١، والقبيلة وتفصيلاتها في الفكر العربي قبل الإسلام / ١٠ – ١٥، والقبيلة وأبعادها في الشعر العربي قبل الإسلام / ١٩ – ٣٤ .

(٢) ينظر مثلا : قصص الأنبياء في الشعر العربي قبل الإسلام – دراسة موضوعية وفنية – / ٦٧ – ٦٨ .

(٣) ينظر مثلا : دراسات نقدية في الأدب العربي / ٢٥ – ٢٦، والقصيدة العربية قبل الإسلام – دراسة نقدية – / ١٢٢، والوحدة الموضوعية والعضوية في القصيدة الجاهلية / ٦٦ .

(٤) ينظر مثلا : ظاهرة التصعلك في الفكر الجاهلي – دراسة فلسفية – / ٧٩ – ٨٣، والصعلكة المعارضة الجاهلية / ١٣٢، والصعاليك وتطور الفكر الجاهلي / ٢٢ .

وبعد أن ولد الإسلام أشرقت بوادر الفكر الحر الذي أنجب فيما بعد الرأي – الصحي – الحر بامتياز. فالقرآن، والرسول (ص) – كما بينا في مبحث القرآن والحديث النبوي – حثا على الإقتناع بالإسلام، ثم الإيمان به. وقد لاقى الرسول (ص) – كما معروف – الكثير من البلايا، والأذى في سبيل نشر الدعوة الإسلامية، فضلا عن تحمل الخلفاء الراشدين (رض) الكثير من مجتمعاتهم في محاولتهم إصلاحها .

وعلى الرغم من سطوة الحكم الأموي على المجتمع الاسلامي إلاَ أن الرأي الحر المنطلق للإصلاح كان واضحا حينذاك، وإن ضحى صاحبه بنفسه من أجل العقيدة. وفي مقدمة الفكر الحر الذي وقف بازاء فكر السلطة الاموية ثورة أبي عبد الله الحسين (ع)، الحرة الخالدة، إلى يومنا هذا. ولعل قصيدة الفرزدق في مدح الإمام السجاد (ع) هي الأبرز في الرأي الحر على مستوى العصر الإسلامي بشكل عام، والعصر الأموي بشكل خاص[١] .

ولايمكن نسيان العالم الجليل (سعيد بن جبير)، ورأيه الصريح في سياسة الحجَّاج التي كان نتيجتها أن أودت بحياة الأول، ومن ثم تصفية الثاني إلهيا[٢].

وعندما نصل إلى العصر العباسي نجد أن الرأي الحر مُعتم او مُعتمَّ عليه جدا، ومن يعتقد إستعجالنا هذا الحكم، فعليه أن ينظر إلى العاقبة التي كانت جزاء من أبدى أي رأي له قيمة، ليس على مستوى التصريح فقط، وإنما الإشارة كان لها الحظ الأوفر من ذلك أيضا، ولم يكن للإشارة حظها في ذلك فقط، لكن التحسس مطلقا سواء أكان هذا التحسس صائبا، أم خاطئا اخذ نصيبه هو الآخر. ومن هذه الصورة إتخذ المفكرون الأسلوب اللامباشر في عرض نتاجاتهم، فثمة مفكر حر إتخذ غطاءً في عمله ليغطي الغرض الأساس منه، الذي لايفهمه إلاَ الذين بلغوا من

(١) تنظر: قصيدة الفرزدق في مدح الإمام السجاد (ع) في ديوانه /٤٥٤–٤٥٥، وينظر بحثنا بالإشتراك: (الحقيقة البلاغية في مدح الإمام السَّجاد (ع) في قصيدة الفرزدق /١٧–٤٩) .

(٢) ينظر مثلا : سعيد بن جبير / ١٨ – ٢٠، والفكر الديني عند سعيد بن جبير / ٨٨ .

المعرفة عتيا[١] ، وعلى الرغم من ذلك كله كشفت بشكل أو بآخر بعض الأعمال، ولعل هذا هو السر الحقيقي الذي أدى إلى تقفيع يدي (ابن المقفع) حينما أنتج (كليلة ودمنة) – مع أن هذا الكتاب كان حوارا على لسان الحيوان –[٢]، ونفسه الذي جعل (ألف ليلة وليلة) مجهولة المؤلف، وسردها ضمن فكاهات الأطفال[٣] ، وهو نفسه الذي جعل الكثيرين يشككون في شخصية (جحا)، وكتابه الموسوم (أخبار جحا)[٤].

أمَا الشعر العباسي فقد وجد فيه ما يشير إلى الرأي الحر، وأبرز من يذكر في هذا المجال (أبو نواس) حيث كان ديوانه متخماً بالرأي الحر الذي ظهر على شكل نقد إجتماعي[٥] ، و (أبو تمام)[٦] ، و (محمود الورَاق)[٧] ، و(المتنبي)[٨] ، وشاعرنا الشريف الرضي كما سنوضح ذلك فيما بعد، و(المعري)[٩] ، فضلا عن (الشعراء الشعبيين) الذين تخصصوا بالرأي الحر الى حد بعيد عن طريق النقد الإجتماعي[١٠] ، والشيء نفسه يقال عن (شعراء المتصوفة)[١١].

---

(١) ينظر مثلا : السجون في التاريخ الإسلامي / ٣٣ – ٥٥، والشكليات وما بعدها في الكتب العربية في العصور الماضية / ١٧ – ٣٣، والعيون في السلطة العباسية / ٦٧ – ٨٢ .

(٢) تنظر : مقدمة كليلة ودمنة / ٢ – ١٤ .

(٣) تنظر : مقدمة ألف ليلة وليلة ١ / ٧ – ١٠ .

(٤) تنظر : مقدمة أخبار جحا / ٣ – ٦ .

(٥) ينظر : ديوانه – مثلا – / ٢٢، ٣٤، ٥٦، ٧١، ٨٤، ٩٩، ١١٤، ١١٧، ١٢٢، ١٣٤ .

(٦) ينظر : ديوانه – مثلا – ١ / ٢٧، ٤٣، ٧٧، ٨٩، ٢ / ٧٦، ٨٩، ١١٦، ١٤٤، ١٥٠، ١٦٦ .

(٧) ينظر : ديوانه – مثلا – / ٢٠، ٤٠، ٦٦، ٧٥، ٨٨ .

(٨) ينظر : ديوانه – مثلا – ١ / ٢٥، ٣٣، ٧٧، ٧٩، ١٠٢، ٢ /٩٩، ١١١، ١١٦، ١٢٢، ١٣٤ .

(٩) أكثر الرأي الحر للمعري ورد في لزومياته (تنظر : اللزوميات – مثلا – ١ / ١٩، ٥٢، ٦٤، ٧٨، ٢ / ١٢، ٣٤، ١١١، ١١٥) .

(١٠) ينظر مثلا : مقالنا الموسوم : (النقد الإجتماعي عند الشعراء الشعبيين) .

(١١) ينظر مثلا : الفكر الرسالي في شعر المتصوفة / ٧٤ – ٨٠ .

وفي العصر الوسيط أصاب الرأي الحر أزمة تكالب القوى الأجنبية على الأرض العربية لهذا لجأ أكثر الشعراء في هذه المرحلة إلى النقد غير المباشر من خلال إسترفاد الماضي، وتفعيل الحاضر المنقود عن طريق تناصه مع ما يلائمه من الماضي لهذا كثر التعكز على التراث(١).

وبهذا نجد أن الرأي الحر العربي على الرغم من العوائق التي واجهته ظل صامدا، وقويا، بحيث استطاعت تلك الشذرات التي وصلت عنه أن تجعل الثقافة العربية مرفوعة الرأس، عبر الزمن .

المبحث الثالث

الرأي الحر الإنساني، وأنماطه

القرآن الكريم بكل تقنياته المنظورة، وغير المنظورة وسيلة لخدمة الإنسان والرفع من شأنه متى وُجد، وأينما كان، فالدستور القرآني بكل قوانينه، ومبادئه تأسس لأجل أن يكون الإنسان مميزا عن كل مخلوقات الله سبحانه وتعالى، وبشكل دقيق أن يكون كل مافي هذا الكون قائماً على ثنائية تنازلية تجعل الله سبحانه وتعالى في المقام الأول ثم الإنسان، ومابعد ذلك من مخلوقات الله المتنوعة وجدت تحت سيطرة الإنسان وفي خدمته، ولذلك برز الإنسان. وكل مايعكس شخصيته في كتاب الله إنما لتبيين مكانة هذا المخلوق عند الخالق سبحانه وتعالى.

ويقف الرأي الحر الصادر من الإنسان على رأس قائمة الرأي الحر الوارد في كتاب الله، وحينما نجد سعة الرأي الحر الإنساني في الخطاب القرآني نكتشف مقدار المكانة التي منحها رب العالمين لهذا المخلوق بحيث تكونت له شخصية مميزة جعلته لايظهر خطابه لبني جنسه فقط، وإنَما بامكان هذه الشخصية عرض آرائها أمام الله سبحانه وتعالى لتحقيق أمور معينة ترتفع بمكانة الإنسان الكونية أيضا. أمَا أنماط هذا الرأي، فهي:-

١ – آراء الأنبياء (ع).

(١) ينظر مثلا : محنة الصدق في الخطاب الثقافي في العصر الوسيط / ١٨٨ .

٢ – آراء شخصيات معينة.

١-<u>آراء الأنبياء (ع):</u>

من البدهيات التي يدركها الجميع في عصرنا الحالي، هي : أن الواسطة التي تربط الفكر الإلهي بالإنسان تتمثل بالانبياء (ع)، وهؤلاء وظفوا كل حياتهم لخدمة الإنسانية التي بعثوا إليها، فضلاً عن انهم هيأوا أساليب معينة لخدمة ذلك التوظيف، لكي يكون الإيمان بالله سبحانه وتعالى منطلقا من إيمان نفسي عميق. وعلى رأس هذه الأساليب والآراء الحرة التي أطلقها هؤلاء، هو الرأي الحر الذي يأتي في وضع قد لايكون مهيأً لهذا الرأي أن يطرح إلى عالم الوجود. وفي مقدمة أنواع الرأي الحر عند الأنبياء (ع) هو الرأي الذي يبث لدعوة الناس الملحدين إلى عبادة الله تعالى. فالدعوة السماوية لو نظرنا اليها في غير منظار القدسية التي ننظر اليها الآن بوصفنا أحد عناصرها الرئيسة – لأننا نؤمن بها روحيا – لوجدنا أنَها نظرية جريئة يحملها – في ظاهر الحال – إنسان واحد أمام جمع من الناس – سواء أكانوا أمة، أم أقل من ذلك – لايؤمنون بها جملة وتفصيلا، ولهذا خطره الكبير. فهذا الواحد المؤمن بكل تقنيات الإيمان يقف أمام جمع يمتلكون كل تقنيات الكفر بإزاء إيمان ذلك الإنسان المفرد، ولهذا فأي نبي كان يطرح رأيه في الدعوة بسياقات وصور تقترب من فكر الجماعة التي يريد نقل التوحيد إليها، ولهذا –أيضاً– كان الحوار هو الوسيلة الكبرى التي تعكز عليها الأنبياء (ع) لعرض آرائهم في الإيمان بالله سبحانه وتعالى، فمن جملة ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ

أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[1].

نلحظ من خلال الخطاب السابق كيف أن الرأي الحر تشظى في الحوار الذي دار بين النبي نوح (ع)، وقومه الذين أرسل إليهم فصار طرف الحوار الإيمـــاني في شخص النبي نفسه الذي حاول جهده إقناع الطرف المقابل بنظريته، في حين أن حوار التشكيك بصحة خطاب النبي كان من طرف المدعوين، ولهذا كان النبي هـــو الآلة التي ساهمت في بناء الحوار الإيجابي في الوقت الذي كان الطرف المقابل آلة التهديم، وبناء الفكر المادي المضاد، وبين الحوارين تتحقق نظرية الرأي الحر للنبي داخل مجتمع كامل معارض لنظريته هذه .

ويأخذ الحوار بعدا آخر عند النبي إبراهيم (ع) حينما طبق رأيه التوحيدي الحر بأنْ حطَّم الأصنام، فبدأ الجدل بعد تحطيم الأصنام حول تفاهة الصنم، إذ لم يكتف بالرأي النظري فقط، ومن ثم محاولة إغتياله حرقا بالنار فأنقذه الله منها، جاعلا إياها سببا لحياته، وذلك في قوله تعالى : ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ

(١) هود / ٢٥ – ٣١ .

﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾[1].

لقد طوَر إبراهيم (ع) طريقة الحوار حينما حول دفته إلى الأصنام أنفسها، فحينما كان عبدة الأصنام مؤمنين – بجهل – أن أصنامهم – عكس واقعها – تضر وتنفع، أمرهم إبراهيم (ع) بأن يسألوا الصنم الكبير، ولمَا كانوا يدركون أنَه لايجيبهم صنعوا ماصنعوا، وتعد الآيـــة:﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾[2]، إعترافا غير مباشر بصحة رأي إبراهيم (ع)، بمعنى أن خصومه بوضعهم هذا أكدوا بطلان دعواهم، وقوة حجة النبي (ع).

وحينما نستقري الرأي الحر للأنبياء في كتاب الله نجد نوعا آخر من هذا الرأي الذي يدوربين الأنبياء أنفسهم، وأكبر مثال على ذلك ما أنتج من رأي حر حينما دار الحوار بين موسى (ع)، والعبد الصالح وهو على أكثر الآراء الخضر (ع)[3] ، حيث أن النبي موسى (ع) طلب زيادة خلفيته المعرفية عن طريق العبد الصالح ذي الثقافة الإلهية العملاقة كما هو مذكور في الآيات الآتية، ولهذا فرأي موسى (ع) كان ينطلق من معرفته الإعتيادية في أمور الفكر الإنساني، بينما رأي العبد الصالح كان ينطلق من ثقافته العميقة التي يدخرها، ولهذا كان دفاع موسى (ع) عن رأيه هو كثرة الإعتراض على أعمال العبد الصالح، في حين كان دفاع العبد الصالح عن رأيه هو تعليل أعماله تعليلا لم يكن موسى (ع) فاقهاً له. وذلك كله يتضح في قوله تعالى : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى

(١) الأنبياء / ٥١ – ٦٩ .

(٢) السورة نفسها / ٦٥ .

(٣) ينظر مثلا : قصص الأنبياء / ٥٥، والتفسير الكبير ٢ / ٢١١ .

ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ۞ (١).

ففي الآيات السابقات يعطينا ربُّ العزة نوعين من الرأي الحر، هما:

الرأي الحر المنطلق من تجربة عريقة ونظر ثاقب، والرأي الحر المنطلق من النظرة الظاهرية والفكر البسيط. والنوع الأول هو الأكثر قبولا في فضاء الرأي كونه لاينطلق من تسرع، أو خداع بصر، وإنما من روية، وتأمل، وبعد نظر، في حين أن الرأي الثاني هو الذي يتسبب في الكثير من الاشكالات، والمحن الشائكة .

ويبرز لدينا في كتاب الله نمط آخر من الرأي الحر الخاص بالأنبياء (ع)، وهو ذلك الرأي الذي ينطلق من فكر مادي مجرد ليس له حجة إلاَ الهوى، وليس له منطق إلاَ النزعات الشخصية، ويقابله الرأي الذي ينطلق من فكر إلهي شامل مثخن بالحجج والبراهين المنطقية والعقل الناضج، فكلا الرأيين كان عند ابني آدم (ع) قابيل وهابيل، حيث عزم الأول على قتل أخيه حينما أراد الزواج من امرأة قسمها

(١) الكهف / ٦٥ – ٨٢ .

الله لأخيه، في الوقت الذي كان أمر الله أن يتزوج هو من امرأة غير راغب افيها[١]، فكان أن حاول قابيل فرض رأيه بتهديد أخيه بالقتل إن لم يعزف عن الزواج بمن قسمها الله له، لكن هابيل التزم برأيه الذي دلّ على التزامه بأمر الله. ولذلك قام قابيل بقتل هابيل تاركا إياه، وهو غارق بدمه، فأسبغ الله عليه الندم حينما أرسل غرابا ليعلمه كيف يدفن أخاه الميت[٢]، وذلك واضح في قوله تعالى:﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[٣].

يتعانق الرأي الحر في هذا النص الكريم مع إطاعة حكم الله تعالى، فقد أصرَّ هابيل على عرض الحقيقة التي يجب اعتمادها ولو على حزّ الرقاب، فحق الله أوأمره يجب أن يقام مهما تكن الأسباب والمسببات. لهذا لم يكتف الأخير بعرض الحق، وإنَما وفى بأخوّته لأخيه حينما عرض أمامه جزاء من يعصي أمر الله، لكي يثبت لنا ونحن نعيش في القرن الحادي والعشرين أن الحر صاحب الرأي الحر لايكون أنانيا مطلقا بل هو قمة في الوفاء، لكن مقابل هذه النفس السخية المشبعة بقيم السماء تقف تلك النفس ذات الفضاءات المتورمة بالأنا المتطاولة المشبعة بعشق

(١) زعمت بعض المصادر أن الأخوين أرادا الزواج من أختيهما بأن يتزوج قابيل أخت هابيل القبيحة المنظر، ويتزوج هابيل أخت قابيل جميلة المنظر وهي سنة في ذلك العهد (ينظر مثلا : قصص الأنبياء / ٢٢)، وهذا خلاف الأصل لأن الشرائع السماوية منعت الزواج من الأخت، ولكن الأصح أن يكون الزواج من نساء أجنبيات لكن قد تكون الزوجات أخوات كما أن الأزواج أخوة .

(٢) ينظر مثلا : تاريخ الرسل والملوك ١ / ٢١١ .

(٣) المائدة / ٢٧ – ٣١ .

الذات، والتنازل عن كل ماهو عريق، المتماهية بظلال الشيطان لتنهيه بحماقة، وتكتب لذاتها الفناء الأبدي مقابل الخلود الأبدي .

وتراودنا صورة قرآنية أخرى من صور الرأي الحر متمثلة بذلك الرأي الذي يطلق في سجون الظلم، والمعتقلات السياسية، وقد يفاجأ المتلقي حينما يسمع بمعتقلات سياسية في كتاب الله، والواقع يحدد هذه الحقيقة حينما نجد أن النبي يوسف (ع) أدخل السِجن بعد تبرئته من تهمة الفاحشة التي حاولت امرأة العزيز لصقها به (ع)، مع أن المتهم هو الذي يدخل السجن ليس غير، ولكن مانسمي سجن بريء مثل يوسف (ع) في هذا الموقف الذي أريد منه حفظ ماء وجه الدولة المتمثل بامرأة العزيز إلاَ سجنا سياسيا، وعلى الرغم من ذلك ظل يوسف (ع) حرا في معتقله حينما كان يُصدر عن الرأي الحر دائما مقدما الحقيقة ناصعة من دون خوف أو وجل، وذلك يتضح في قوله تعالى : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعْصِرُ خَمْرًاۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًاۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾(١).

انطلق الرأي الحر عند يوسف (ع)، من محورين أساسيين، هما : –

(١) يوسف / ٣٦ – ٤١ .

- إنقاذ حياة صاحبي السجن عن طريق تعريفهما بسلامة الطعام الذي يأتيهما من الخارج لئلا يكون مسموما، كونه يستشرف المستقبل عن طريق تأويل الاحلام(١).
- دعوة صاحبي السجن إلى الله وإخراجهما من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان .

ومن كل ذلك نستنتج أن الرأي الحر للأنبياء في كتاب الله، تمثل بالمميزات الاتية :

١-دعوة الملحدين إلى الايمان بالله .

٢-إثبات الرأي بالدليل القاطع .

٣-توظيف الخبرة في تأكيد صحة النظرية .

٤-إبداء الرأي إستنادا لإستقراء المستقبل .

٢-<u>آراء شخصيات معينة :</u>

إن كان الرأي الحر الخاص بالأنبياء (ع) أهم أنماط الرأي الحر في القرآن الكريم، فهو ليس اليتيم فيه، بل ثمة آراء وقفت إلى جواره جنبا إلى جنب، تتعاضد معه لتقرير فضاء الرأي الحر في كتاب الله، وهنالك مجموعة من الشخصيات التي طرحت رأيا ما لتقرير حالة إيجابية أو سلبية، فالرأي الإيجابي رأي مثمر، ونامٍ يحقق بطفقانه حياة بظلال إلهية مستقلة بذاتها، والرأي السلبي لايرجع إلى صاحبه إلاَ بالويل والثبور والخلود السلبي. ونستطيع أن نقسم الرأي الحر في هذا النمط على نوعين، هما : -

أ- الرأي الحر الإيجابي.

ب- الرأي الحر السلبي.

أ- <u>الرأي الحر الإيجابي :</u>

إستقلت مجموعة من الآراء الحرة في كتاب الله بعرض فكرة إيجابية، الغاية منها تغيير نظرية يؤمن بها الخصم، من خلال طرح مجموعة من الأفكار التي

(١) ينظر مثلا : في ظلال القرآن ٢ / ٧٢، وتقنيات المنهج الأسلوبي في سورة يوسف – دراسة في التركيب والدلالة – / ٨٨ – ٩٠ .

يؤمن بها الخصم بَيد أنها تُوظّف فيه لخدمة الرأي الحر الإيجابي. ومن جملة ذلك، الرأي الذي طرحه مؤمن آل فرعون محاولة منه لإنقاذ قومه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، وذلك واضح في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ ﴾ (١).

فالرأي الذي تشخصه هذه الآية الكريمة تألف من ثلاثة محاور، وهي : المحور الأول: طرح نظرية الإيمان – إتبعون أهدكم سبيل الرشاد –، والمحور الثاني : طرح أدلة النظرية تلك – من: ياقوم إنَما هذه الحياة ..... هم أصحاب النار –، والمحور الثالث: النهاية التي ستحقق لهم حقيقة مانصحهم به – فستذكرون... بالعباد –، ومن الملاحظ أن الرأي هنا لم يفصّل بأدلة وجود الله، وقضاياها الفرعية، لأن المجتمع كان على خلفية ثقافية عملاقة على الرغم من إلحاده(٢)، وإنَما طرح القضايا الكلية لجهل الكثير من الناس آنذاك بها (٣)، فلقد تنامى الحس النسبي الذي كان يربط هذا الشخص بقومه بالخشية عليهم من النار، لهذا تخطى كل مصاعب رأيه جاعلاً إياه جسرا يوصله الى انقاذ قومه من النار. وإن كانت أعماله هذه ذهبت ادراج الرياح عندهم إلاَ أن رأيه ظل يضوّع بمسك الخلود، وتنامى خلوده خلودا حينما جعله الله تعالى مثلا عريقا للإيمان في كتابه العزيز.

---

(١) غافر / ٣٨ – ٤٤ .

(٢) ينظر مثلا : مجمع البيان ٣ / ٢٥٥ – ٢٦٦، والتفسير الكبير ٥ / ١١ – ١٣ .

(٣) ينظر : الحوار الفلسفي في بنية الخطاب القرآني / ١١١ – ١١٥ .

ب- **الرأي الحر السلبي :**

مثلما يوجد رأي حر إيجابي يوجد مقابله السلبي في الخطاب القرآني إنطلاقا من أن القرآن يعرض للشيء وضده، كون هذه الأشياء موجودة في واقع الحال، ومن ثم ستؤول في نهاية المطاف إمّا إلى جنة، أو نار. ولانتوقع أن يكون الرأي الحر السلبي صادرا من جهة بعيدة عن المؤسسة الإيمانية، وقريبة من الصورة الدنيوية أو الوازع الشيطاني وحسب، فثمة رأي حر سلبي صدر من مثال إلهي يُهتدى به، ولذلك شواهد في كتاب الله، وليس أوضح من رأي (ابن نوح (ع))، و (إخوة يوسف(ع)) وهم من هم، أما (ابن نوح(ع)) فقد أراد أن يحتمي بالجبل – وهو جماد، ومخلوق من مخلوقات الله، حينما يأتي الطوفان – وهو عقاب من الله لكل العاصين له تعالى على الأرض، وأدة تطهير إلهية – على الرغم من نصيحة أبيه النبي نوح (ع) له، وفي الوقت الذي يدرك أي متلق مؤمن بسيط جزاء أخذ شيء ما للإستعانة كالجبل، وترك العزيز الحميد، نجد النبي نوح (ع) بعد وقوع الطوفان يطلب من رب العزة إنقاذ ابنه كونه من أهله ؟!!!، وذلك واضح في النص القرآني الآتي: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (١).

أما إخوة يوسف (ع) فقد تعهدوا أمام أبيهم (ع) بأن يحفظوا يوسف (ع) من خطر الحيوانات الصحراوية المفترسة التي اختصرها القرآن الكريم بـــ (الذئب) الذي يوجد في كل الصحارى، لكنهم قرروا إغتياله، وعلى الرغم من أن رأي

(١) هود / ٤٢ – ٤٦ .

أحدهم جعلهم يعدلون عن الإغتيال إلى الإلقاء في الجب يبقى هؤلاء الذين هم أولاد أنبياء، أصحاب الرأي المفارق في محاولة تحقيق قضية هي من شأن اللامؤمنين في أكثر الأحوال، ووسعوا من جريمتهم حينما ألقوا ثقل هذه الجريمة على الذئب البريء منها تماما بأدلة زور واضحة، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأۡمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرۡسِلۡهُ مَعَنَا غَدٗا يَرۡتَعۡ وَيَلۡعَبۡ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحۡزُنُنِيٓ أَن تَذۡهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَأَنتُمۡ عَنۡهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ (١).

نستنتج مما سبق – بما يتعلق بالرأي الحر لشخصيات معينة –، مايأتي :

١–وجوب نصح الأقربين لأجل تخليصهم من الوقوع في الخطأ .

٢–حب الأنا مقابل إقصاء الآخر يوقع في الاثم.

وفي نهاية الرأي الحر الإنساني نود تحديد أهم النتائج التي تولدت منه، وهي:

١–دعوة الملحدين إلى الايمان بالله.

٢–إثبات الرأي بالدليل القاطع .

٣–توظيف الخبرة في تأكيد صحة النظرية .

٤–إبداء الرأي إستنادا لإستقراء المستقبل .

٥–وجوب نصح الأقربين لأجل تخليصهم من الوقوع في الخطأ .

٦–حب الأنا مقابل إقصاء الآخر يوقع في الاثم.

(١) يوسف / ١١ – ١٨ .

المبحث الرابع

الرأي الحر للجن، وأنماطه

يقف هذا الموضوع في مقدمة الموضوعات المهمة للرأي الحر في كتاب الله مسنودا بنظرية كون هذا الجنس من المخلوقات التي سبقت الإنسان في إدارة الأرض، لكن إنحرافه من خلال جبروته، وظلم الرعية هو الذي جعل رب العالمين ينحّيه عن قيادة الأرض[١]، فضلا عن كون إبليس (لع) كان من الجن ثم عصى ربه بامتناعه عن السجود لآدم (ع)، فلعنه الله تعالى لعنا خالدا[٢]، على أن أكثر المواضع التي جاء فيها الإنس مرافقا للجن كان الجن مقدما على الإنس فيها[٣]، ونستطيع رصد نمطين للرأي الحر فقط في كتاب الله خاصين بالجن، هما : –

١–سورة الجن.

٢–آراء الجن الذين كانوا مع النبي سليمان (ع).

١–<u>سورة الجن :</u>

تعد هذه السورة فضاء من الآراء الحرة للجن، فالسورة من بدايتها – تقريبا – إلى نهايتها هي عالم من آراء الجن، وفي واقع الحال فالسورة وثيقة مهمة تبين الفكر الجني على مستوى التقنيات الكلامية من جهة، وتوظيف هذه التقنيات لخدمة الإيمان بالإسلام من جهة ثانية من خلال عرض تاريخ الحضارة الجنية التي يجهل عنها الإنسان الكثير. ولو نظرنا إلى بعض من هذه السورة سنجد مثلا : ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ۝٢ وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤

(١) ينظر مثلا : جامع البيان في تأويل آي القرآن ٣ / ١٣٢ – ١٤٤، والجن في الثقافة الإنسانية / ٧٧، دراسة بايرسايكلوجية في سايكلوجية الجن / ٢٩٩ .

(٢) تنظر : الكهف / ٥٠ .

(٣) تنظر : الأنعام / ١٢٨ و ١٣٠، الأعراف / ٣٨ و ١٧٩، النمل / ١٧، فصلت / ٢٥ و ٢٩، الأحقاف / ١٨، الذاريات / ٥٦، الرحمن / ٣٣ .

وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ ﴾ (١).

لقد أظهرت هذه المقاطع أسلوبية عرض الرأي الحر من قبل الجن عن طريق طرح نظرية الإيمان أولا، ومن ثم طرح تاريخ الحضارة الجنية ثانيا، وكيفية إقناع الآخر بالرأي عن طريق عرض آلات الإقناع ثالثا، ليعطينا رب العزة في النهاية موازنة غير مباشرة بين تقنيات الرأي الحر للجن، وتقنيات الرأي الحر للإنس .

٢-<u>آراء الجن الذين كانوا مع النبي سليمان (ع) :</u>

لقد روى لنا القرآن أن فريقا من جنود النبي سليمان (ع) كانوا من الجن(٢)، ولهذا ربما كان ذلك سببا من هالة من الأسباب التي حدت بملك هذا النبي أن يكون عريقا. ومن هذه الزاوية وضح لنا القرآن في مشهد معين كيف تحققت آراء هذه الطائفة من جنود هذا النبي، حينما أمر بجلب عرش الملكة (بلقيس) بسرعة كبيرة تفوق مجيئها مع وفدها مسلمين إليه بأمر الله، فكان أن تنازع في ذلك اثنان من الجن، الأول أفتى برأيه عن مدى سرعته حينما قال : ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴾(٣) وهذا الرأي ينم عن قدرة فائقة لهذا الجني تفوق القدرة المتعارفة. فالزمن الطويل الذي يستغرقه الرحيل إلى دولة أخرى في ذلك الزمن يختصر بزمن بسيط جدا، ومع هذه القدرة تحدى رأيه جني آخر حينما جعل الزمن الذي يحتاجه لذلك لمحة بسيطة ليس إلاَ، إذ قال للنبي سليمان (ع) : ﴿ قَالَ

(١) الجن / ١ – ١٢ .
(٢) تنظر : النمل / ١٦ .
(٣) السورة نفسها / ٣٩ .

ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾ (١).

وفي الرأيين السابقين يتحقق مايأتي :

- القدرة الفائقة على تحقيق ما لايتحقق عند المخلوقات الأخرى .
- المنافسة الشريفة في الرأي الحر من دون أن يعادي أي طرف الطرف الآخر.
- الحرية المناطة بهم من قبل القيادة الحكيمة – النبي سليمان (ع) – بحيث يقول كل طرف رأيه من دون خوف .

ومما تقدم نصل إلى النتائج المتعلقة بهذا المبحث، التي من أهمها : –

١– الرأي الحر عند الجن مرتبط بخلفية واسعة وعميقة .

٢– الشجاعة في إبداء الحقيقة من دون خوف، أو وجل .

٣–وجود المنافسة الشريفة في الرأي الحر، مع وجود الروح السمحة في تقبل ذلك .

المبحث الخامس

الرأي الحر للحيوان، وأنماطه :

لم يكتف كتاب الله بإيراد الآراء الحرة للمخلوقات العاقلة مثل (الإنس)، و(الجن) فقط بل تجاوز ذلك إلى المخلوقات غير العاقلة أيضا. وقد يراود أبسط متلق سؤال على غاية كبيرة من الخطورة، وهو : أليس الرأي عموما والحر خصوصا يتعلق بالخلفية الثقافية التي بدورها ترتبط بالمنظومة العقلية إرتباطا وثيقا(٢)، فكيف يرد رأيا للحيوان وهو كائن – كما معروف – ليس عاقلا، في كتاب الله ؟!! وهذه المسألة تقف في أكثر من إتجاه، فمن جهة – كما نرى – كل المخلوقات عاقلة أو غير عاقلة هي ذات فكر بالنسبة لله تعالى، ومن جهة أخرى لم يظهر رأي الحيوان في كتاب الله إلاَ مع النبي سليمان (ع). وهذا النبي كان على

(١) السورة نفسها / ٤٠ .

(٢) ينظر مثلا : فلسفة التفكير العقلي / ١٣٣ – ١٣٩، و شخصية العقل البشري / ٢٢٢ .

علم بمنطق الحيوان – كما هو معروف – لهذا لم يظهر الرأي الحر للحيوان إلاَ مع هذا النبي (ع)، وقد تحدد الرأي الحر الحيواني بحيوانين، هما: (النملة)، و (الهدهد)، فالحيوان الأول حيوان أرضي، والحيوان الثاني سماوي، والحيوان الأول صغير جدا، والثاني كبير، والحيوان الأول يمشي على رجلين والحيوان الثاني يطير بجناحين، وكأن الله تعالى يريد القول بعد هذين الرأيين: أن كل الحيوانات لها الحقوق والواجبات – ومنها الرأي الحر – نفسها .

فقد حذرت النملة بني جنسها – حينما رأت النبي سليمان (ع) يسير بموكبه – من الدهس من دون أن تعلم أن النبي سليمان (ع) يعلم الغيب، وذلك في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾[1]، ولعل احتواء فعل التحطيم على نون التوكيد الثقيلة – يحطمنَّكم – يفيد دلالات التحطيم المعنوي، وليس المادي فقط، ولاسيما أنّ من جنود سليمان (ع) الجن، بمعنى أنه يسترفد التحطيم النفسي أيضا .

أما الهدهد فكان رأيه الحر سبيلاً من السبل التي برأ صفحته فيها أمام عقوبة سليمان (ع) المتوقعة – العذاب، أو الذبح –[2] من ناحية، وكشفاً لوجود بعض الممالك – مثل مملكة بلقيس – تدين بالديانة الوثنية مما كان السبب الرئيس لدخول مملكة بلقيس عالم التوحيد، ومن ثم زواجها من سليمان (ع)[3] من ناحية ثانية، فالرأي الحر لهذا الحيوان ظل قائما على الرغم من المخاطر التي واجهها بسبب تهديد النبي سليمان (ع) له بالعذاب أو بالذبح، بيد أن تعبير (سلطان مبين) الذي جعله سليمان (ع) مقابلاً من مقابلات إنقاذ الهدهد من العذاب أو الذبح[4] يحتمل – كما نرى – في مضمونه منحة ابداء الرأي الحر، وذلك يتضح في قوله تعالى: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا

(١) النمل / ١٨ .

(٢) تنظر : السورة نفسها / ٢١ .

(٣) ينظر مثلا : قصص الأنبياء / ٢٢ .

(٤) تنظر : النمل / ٢١ .

شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ ﴾[1] .

ومن كل ذلك نستنتج أن الرأي الحر للحيوان في القرآن الكريم، تَمَثَّل نتائج متعددة، أهمها:-

١- الرأي الحر صورة من صور التحذير .

٢- الرأي الحر نقل للخبر الصادق .

المبحث السادس

الرأي الحر للجماد، وأنماطه :

قد يثير انتباه المتلقي القرآني حول قضية الرأي الحر، إستفهاما مفاده : إذا كان الرأي الحر مرتبطا إرتباطا وثيقا بالمنطق سواء أكان صاحب هذا المنطق إنسانا، أم جانّاً، أم حيوانا، فكيف يأتي رأي حر للجماد، والجماد لامنطق له ؟!!!، والواقع القرآني يحدونا إلى تقبل ذلك بكل رحابة عقل – إن صحّ التعبير –، لأن النظرية الإلهية للكون ومكوناته، غير نظريتنا نحن، فالله سبحانه وتعالى رب كل الموجودات، وليس رب بعض الموجودات، ومن هذه البدهية نفهم أن كل ماموجود في الوجود هو عبد لله، ولهذا السبب الواضح نفهم كيف أن كل الجمادات لها حقوق – لكننا لانفقه هذه الحقوق –، ومن هذه الحقوق التعبير عن شخصيتها، الذي يتجسد بشكل واضح عن طريق الرأي الحر. ونستطيع تقسيم الرأي الحر للجماد على قسمين، هما : -

١- الرأي الحر المباشر.

٢- الرأي الحر غير المباشر.

---

(١) السورة نفسها / ٢٠ – ٢٦ .

١- **الرأي الحر المباشر :**

يشكل الرأي الحر المباشر للجماد أهمية كبرى في كتاب الله، وقد تحقق هذا الرأي في جانبين، هما : -

- السماء والأرض.
- جهنم.
- **السماء والأرض :**

لابد من أن ندرك أن ثنائية السماء والأرض ثنائية متعاضدة بقوة في القرآن الكريم، فمن ناحية أنها تمثل الكون عموما، ومن ناحية ثانية تمثل الدلالة الكبرى على وجود رب العالمين، ومن ناحية ثالثة ان كل مافيها مسخر لخدمة الإنسان، ومن ناحية رابعة هي شفرة لكل مافيها حيث أن السماء شفرة لكل مافيها من مخلوقات، والأرض شفرة لكل مافيها من مخلوقات أيضا .

ومن هذه الصورة ورود آراء حرة لهذه الثنائية في كتاب الله، وأول هذه الآراء أنه حينما خلق الله الكون أمر السماء والأرض بأن تأتيا طوعا أو كرها فكان مجيؤهما بالطاعة. وهذا إن دلّ على شي فأن ثنائية (السماء، والأرض) ثنائية مطيعة لله منذ أن تأسست في هذا الكون، ومن ثم فإن هذه الثنائية رمز لمحتوياتها بمعنى أن المخلوقات السماوية. والأرضية ولدت مؤمنة بالله، وليست ملحدة. وهذا هو الذي جعل رب العزة يبارك للسماء والأرض ومحتوياتهما، وذلك واضح في الخطاب القرآني الآتي، قال تعالى:﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾[1] .

والذي يلفت إنتباهنا في الرأي السابق أن السماء والأرض مثنى، لكن في آخر الآية تتكلم السماء والأرض بصيغة الجمع (أتينا طائعين)، وحل هذه المسألة يجيب عنها التفسير القرآني التراثي، حينما أكَد أن السماء والأرض لم تتكلما عنهما فقط، وإنَما نيابة عن الموجودات التي فيهما أيضاً، وبذلك يكون الأمر جماعة، لأنَه

(١) فصلت / ١١ .

سيكون مؤلفا من ثلاثة أطراف[١]– والثلاثة جمع –، وبذلك ضمنت السماء والأرض رأيهما الحر مع سكانهما.

وهنالك رأي حر آخر للسماء والأرض مع الجبال يتضمن رفض السماء والأرض والجبال حمل الأمانة التي عرضها عليهن رب العالمين، بينما حملها الإنسان، وهذا دليل نزاهة السماء والأرض والجبال المطلقة حيث أن الأمانة قد تستدعي الولوج في العصيان الذي هو أبعد مايكون عن السماء والأرض والجبال، لكن من البشر من يتقبلها، وذلك واضح في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾[٢].

وهذا إن دلَ على شيء فإنه يدل على عدالة الخالق المطلقة – وهو كذلك بالتأكيد – عند تلك المخلوقات الجامدة بحيث استطاعت تلكم الجمادات رفض حمل الأمانة، فكان لها رأي حر خاص.

- **جهنم:**

هي من أشد النيران حرارة، وأقساها أذى[٣]، فضلا عن كونها بحراً من النار من سقط فيه تحول إلى مثله[٤] ، ومن خلال ورودها في كتاب الله نستشف أنَها كانت رمزا كبيرا لعذاب الله في الآخرة حيث وردت في القرآن الكريم تسعا وسبعين [٧٩] مرة[٥]، وقد أودع الله الكثير من الضالين وأصحاب الذنوب العظمى هذه

(١) ينظر مثلا : مجمع البيان ٤ / ٣٣٣، والتفسير الكبير ٧ /٤٤ .
(٢) الأحزاب / ٧٢ .
(٣) ينظر مثلا : الواضح في تفسير القرآن الكريم ٣ / ٥٥، و النكت والعيون ٣ / ١٦٦ .
(٤) ينظر مثلا : الكشاف عن حقائق التنزيل من عيون الأقاويل في وجوه التأويل ٤ / ٢٦٦، و لباب التأويل ٣ / ٧٦، و اللباب في علوم الكتاب ٢ / ١٢٢ .
(٥) تنظر : البقرة / ٢٠٦، آل عمران / ١٢ و ١٦٢ و ١٩٧، النساء / ٥٥ و ٩٣ و ٩٧ و ١١٥ و ١٢١ و ١٤٠ و ١٦٩، الأعراف / ١٨ و ٤١ و ١٧٩، الأنفال / ١٦ و٣٥ و ٣٦ – ٣٧، و ٤٩ و ٦٣ و ٦٨ و ٧٣ و ٨١ و ٩٥ و ١٠٩، هود / ١١٩، الرعد / ١٨، إبراهيم / ١٦ و ٢٩، الحجر / ٤٣، النحل / ٢٩، الإسراء / ٨ و ١٨ و ٣٩ و ٦٣ و ٩٧، الكهف /

النار[١]، وكان لهذه النار قدرة على إستيعاب الكثير من المستحقين لعذابها. وقد ورد لهذه النار رأي حرّ من دون بقية النيران تشخص هذا الرأي بصورة جواب على سؤال طرحه ربُّ العزة، ألا وهو: (هل امتلأت)، فتجيب: (هل من مزيد ؟)، وذلك واضح في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ﴾[٢].

وهذا يشير الى أنه سبحانه وتعالى مثلما كانت نعمه واسعة في الجنة، فعذابه واسع أيضا في جهنم. وعدم طرحه تعالى سؤاله السابق – هل امتلأت – على الجنة، وطرحه على جهنم، دليل على أنَه تعالى يريد الخير اللامحدود لعباده، لكنه يحدد طبيعة العذاب على أصحاب جهنم، وذلك لأن رحمته تعالى بلاحدود .

٢-**الرأي الحر غير المباشر :**

مثلما ورد الرأي الحر المباشر للجماد في التنزيل العزيز ورد كذلك الرأي الحر غير المباشر، الذي يتمثل بالرمز أو الإشارة أو اللمحة، وهذه الأمور تدل على آراء محددة لتلكم الجمادات لم ترد بصورتها المباشرة. وتقسم الجمادات التي طرحت هذا النوع من الرأي الحر على قسمين أيضا، هما : –

- رأي حر لجمادات في الدنيا .
- رأي حر لجمادات في الآخرة .
- **رأي حر لجمادات في الدنيا :**

---

١٠٠ و ١٠٢ و ١٠٦، مريم / ٦٨ و ٨٦، طه / ٧٤، الأنبياء / ٢٩ و ٩٨، المؤمنون / ١٠٣، الفرقان / ٣٤ و ٦٥، العنكبوت / ٥٤ و ٦٨، السجدة / ١٣، فاطر / ٣٦، يس / ٦٣، ص / ٥٦ و ٨٥، الزمر / ٣٢ و ٦٠ و ٧١ – ٧٢، غافر / ٤٩ و ٦٠ و ٧٦، الزخرف / ٧٤، الجاثية / ١٠، الفتح / ٦، ق / ٢٤ و ٣٠، الطور / ١٣، الرحمن / ٤٣، المجادلة / ٨، التحريم / ٩، الملك / ٦، الجن / ١٥ و ٢٣، النبأ / ٢١، البروج / ١٠، الفجر / ٢٣، البينة / ٦ .

(١) ينظر مثلا : معالم التنزيل ٢ / ٣٤٤ .

(٢) ق / ٣٠ .

وردت آراء حرة غير مباشرة في كتاب الله لجمادات في الدنيا، ومن جملة المشهور في ذلك: –

- الآثار.
- الجبل.
- القرية.
- **الآثار :**

ورد ذكر للآثار بصورة غير مباشرة في كتاب الله في أربعة عشر [١٤] موضعا(١)، وقد كانت الآثار علامة من علامات الإرشاد القرآني بإتباع الله، وترك عبادة الأصنام من خلال النظر إلى آثار الأمم الغابرة التي كانت محلّاةَ بأرقى تقنيات الإبداع الحضاري، لكن عصيانهم لله أهلكهم ولم يبق منهم إلا آثارهم. وهذه الآثار عن طريق التمعن بها تذهب بمتلقيها إلى صورة أخرى تتحقق بعبارة، هي : إذا لم تبتعد أيها المتلقي عمَا كان يفعله أصحاب هذه الآثار فسيكون مصيرك كمصيرهم، فكأنما الأثر يبدي رأيه من خلال عرض مشاهد لبقايا الراحل فيه. ومن أمثلة ذلك الآيات الكريمات الآتية: –

- ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (٢).
- ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ (٣) .
- ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٤).

(١) تنظر : آل عمران/ ١٣٧، الأنعام/ ١١، يوسف/ ١٠٩، النحل/ ٣٦، الحج/ ٤٦، النمل/ ٦٩، العنكبوت/ ٢٠، الروم/ ٩ و ٤٢، سبأ/ ١٨، فاطر/ ٤٤، غافر/ ٢١ و ٨٢، محمد/ ١٠ .

(٢) الأنعام / ١١ .

(٣) النمل / ٦٩ .

(٤) يوسف / ١٠٩ .

- ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ (١).

ومن المكمل لوضع الآثار في كتاب الله ماورد من تفصيلات الآثار فيه، وهذه التفصيلات بدورها تشكل رأيا غير مباشر أيضا عن عبرة تلك التفصيلات وعظتها، وهذا مانجده واضحا – مثلا – في قوله تعالى: ﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾ (٢).

فالنظر هنا يشكل تشخيصا لرأي هذه الأثار في أصحابها الذين كانوا يقطنونها، مع تفصيلاتها .

- **<u>الجبل:</u>**

هو من الجمادات التي كان لها حظور على مستوى الرأي الحر في محكم التنزيل، ويبدو – والله أعلم – : أن شهرة هذا الجماد أداة لتحقيق دلالات إنسانية في الخطاب الثقافي العربي الذي سبق الإسلام – الشِعر – سبب من أسباب عدة جعلت الخطاب القرآني موظفا لهذا الجماد دلالة أعمق بكثير من صورته الحسية. ففي الوقت الذي جعل الشعر العربي قبل الإسلام الجبل تشبيها، أو استعارة، أو كناية، أو تورية الخ، تميز الخطاب القرآني في التعامل مع هذا الجماد – بالنسبة لرب العالمين – بجعله كائنا حيا عاقلا كونه عبداً من عبيد الله، فالقوة والشموخ والصلابة التي يتحلى بها الجبل في النص الشعري الجاهلي التي هي – في أكثر الأحيان – توريات إلى من هو موجه إليه النص، والتي تكون عادة مسلطة على رقاب الجمهور للإنحناء لها سواء أكان من يتحلى بها باطلاً أو حقاً، تتحول في الخطاب القرآني مع من يتحلى بها إلى خضوع كامل لله سبحانه وتعالى .

ولقد وجدنا أن كتاب الله تضمن صورتين من صور الجبل في ما يتعلق بمصطلح الرأي الحر، فالصورة الأولى أوردناها سابقا مع السماوات والأرض

---

(١) الحج / ٤٦ .

(٢) السورة نفسها / ٤٥ .

بصورة الجمع[١]، وأما الصورة الأخرى فهي في قوله تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٢].

من البدهي أن يكون الخشوع والتصدع من مواصفات الإنسان، وليسا من مواصفات الجبل، فضلا عن أنه ليس كل إنسان يتحلى بالخشوع، لكن من الممكن أن يكون التصدع من مواصفات أي إنسان، فالخشوع لايتحلى به إلا الإنسان المؤمن، ولما كان الخشوع مقدما على التصدع، فهو من مواصفات المؤمنين الذين خشعوا نتيجة إيمان روحي بالله، ولما تأخر التصدع دلّ على التعمق في الخشوع، وعندما أضاف سبحانه وتعالى هذه المواصفات إلى الجبل، فهذا يدل على أن هذه الأعراض الروحية التي انعكست على الجبل شفرة لرأي الجبل في القرآن الكريم، الذي هو بدوره شفرة كبرى لعظمة رب العالمين، وهو يدلّ ضمنا على أنه : ليس هناك أعظم من الله في هذا الكون، فكيف أيها الملحدون تكذّبون به وهو من هو ؟!!!

- **القرية:**

وهي من الجمادات التي طُرقت في القرآن الكريم، وكان لها رأي ضمني من خلال دلالة النص الذي وردت فيه. والواقع أن القرية صورة لأصحابها، وصورة للحضارة الإنسانية، وصورة للجزاء الذي قرره الله لأصحابها، لكن الدلالة التي تسطرت في الآية التي أوردت رأي القرية الضمني هي الحجة على صدق المقال، وهي: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴾[٣].

وقد أكد بعض المفسرين، مايأتي : إذا كان الخطاب موجها إلى النبي يعقوب (ع)، وهو الذي لايعدم الإتيان بمعجزة، فمن المحتمل أن يكون سؤاله للقرية نفسها،

(١) تنظر : الأحزاب / ٧٢ .
(٢) الحشر / ٢١ .
(٣) يوسف / ٨٢ .

وليس لأصحابها، لأنها – بإذن الله – ستكون رهن إشارته[١]. ومن ذلك يتضح أن القرية كأنَما أدلت دلوها، وهي تقول مابعد السطور : أن زعم أبنائك يانبي الله يعقوب (ع) صحيح .

ومما تقدم نستنتج أن الرأي الحر غير المباشر لجمادات الدنيا في كتاب الله امتاز بمايأتي:-

١-نشر الوعظ والإرشاد .

٢-إثبات عظمة الله تعالى .

٣-الدلالة على صدق الحجة .

- **رأي حر لجمادات في الآخرة :**

ليس الرأي الحر للجماد خاصا بالدنيا بل أن هنالك رأياً حراً لجماد في الآخرة، والسبب في ذلك أن الجماد يستعمل حجة لإثبات كذب المذنبين يوم القيامة من كفار، ومشركين، ومنافقين، ومجرمين، وغيرهم حينما يبالغون في إنكار ذنبهم. ومن جملة ذلك، مايأتي:-

- الأصنام .
- بعض أعضاء جسم المذنب .

- **الأصنام :**

تعد هذه الجمادات مما يُحاسب عليها عبدتها يوم القيامة، لأن العبادة المناقضة لله من أكبر الذنوب التي يمتاز بها الإنسان، ولأن ذلك يثبت عجز الإنسان عن أن يرقى حتى لمستوى الحيوان الذي هو عبد من عبيد الله، فضلا عن أن هذه المعبودات هي من عبيد الله [٢]. ولهذا ففي يوم القيامة تنطق هذه الأصنام لتبدي

(١) ينظر مثلا : الواضح في تفسير القرآن الكريم ٢ / ١١١، و النكت والعيون ٣ / ٢٣٣ .

(٢) تنظر : الأعراف / ١٩٤ .

رأيها بإثبات بطلان دعوى الضالين. وذلك واضح في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (١) .

ففي النص السابق إشارة – عن طريق ((وهم لهم جند محضرون)) – الى أن هذه الأصنام التي عبدها الإنسان في الدنيا ستشهد عليه في الآخرة، فتبدي رأيها الحرّ الصريح في سلبية عبادته إياها، وذلك هو أعظم الأثر الذي يثبت بطلان عبادة الأصنام.

- **بعض أعضاء جسم المذنب :**

في يوم القيامة يكون لأعضاء الجسم رأي واضح بضلالة أصحابها وذنوبهم، وهذا دليل على أن الخُلُق النبيل في أصله من عند الله لكن الإثم طارىء، ولم يكن الرأي خاصاً – في كتاب الله – في الجسم المتكامل، بل قد يكون هذا الجسم فيه أكثر من رأي حر، وهذا واضح في قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٢).

من هذا نستنتج أن الرأي الحر في يوم القيامة يحمل دلالة إثبات الحجة على المذنب .

(١) يس / ٧٤ – ٧٥ .

(٢) فصلت / ١٩ – ٢١ .

المبحث السابع

الصورة الفنية للرأي الحر في كتاب الله :

حينما تأملنا الإعجاز الفني لسياق الرأي الحر في كتاب الله لمسنا الكثير من عناصر الفن فيه، لكننا حاولنا التركيز على الفن الذي يتعانق مع الرأي الحر تعانقا وثيقا. ولهذا وجدنا الصورة الفنية تصب في مجموعة من المحاور، وهي : –

المحور الأول : الصورة الكلية.

المحور الثاني : التشخيص.

المحور الثالث : التورية.

المحور الأول : الصورة الكلية :

من الثوابت المستقرة في النقد الحديث عموما أن الصورة الفنية روح يجب توافرها في أي عمل فني حتى يصح أن نطلق عليه عملا فنيا، ولايمكن أن يكون المنتوج خَلّاقا إذا لم تكن له شخصية خاصة به تميزه عن أمثاله. وقد يكون الكثير من منظري الصورة – في رأينا – مجانبين للصواب حينما حددوا الصورة الفنية، بأنها : معادلة بين عالم المجاز وعالم الحقيقة[١] ، أو التلاقح بين ماهو خيال وبين ماهو حقيقة[٢]، أو التخييل[٣]، أو إتحاد بين أكثر علمي البيان والبديع وأقل علم المعاني[٤] والسبب – في رأينا – هو أن الكثير من الكلام الإعتيادي يحتوي على تلكم الموارد، لكننا نرى أن الصورة الفنية، هي: الفكرة الجديدة التي يطرحها المبدع من خلال نصه.

ولقد تقدمت الصورة في كتاب الله تقدما كبيرا حينما كانت هذه الصورة تتسم في الكثير من أبعادها بالحقيقة من وجهة نظرنا نحن – كوننا بشراً ضعافا – أما من وجهة نظر رب العالمين، فالقرآن حقائق كله، ولن تجد أثرا للمجاز مطلقا، وذلك

---

(١) ينظر مثلا : الصورة الفنية في الشعر الجاهلي / ١٢٥ – ١٢٦ .

(٢) ينظر مثلا : الصورة الفنية عند ابن العميد / ٢٢ – ٢٦ .

(٣) ينظر مثلا : الصورة الفنية عند ابن شهيد الأندلسي / ٢٢٢ .

(٤) ينظر مثلا : الصورة الفنية عند أحمد مطر / ٧٧ .

لأن الله إن شاء تحقيق ذلك المجاز – من وجهة نظرنا – لتحقق، أما نحن فلانستطيع أبدا أن نحول المجاز الى حقيقة، وبذلك فإن إعجاز الصورة الفنية القرآنية يتأتى من كونها قائمة أساسا على الحقيقة ومع ذلك فالصورة الفنية في القرآن الكريم عظيمة جدا .

وأما الصورة الكلية فهو مصطلح في فضاء الصورة الفنية المقصود به : أن الصورة متشكلة من مختلف الموضوعات البلاغية، ولم يبرز موضوع بعينه مقابل موضوع آخر(١).

وفي موضوع الرأي الحر في كتاب الله وجدنا سيادة الصورة الكلية فيه إلى درجة يصعب – في كثير من الأحيان – فصل أي موضوع داخل الصورة عن الصورة نفسها. ومن هذا المنطلق نستطيع القول أن الوحدة الموضوعية والعضوية واضحة بصورة كبيرة جدا فيه، ولو أردنا التأكد من هذا الرأي لنتأمل النص القرآني الآتي: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (٢) .

لوتأملنا الآية الكريمة جيداً سنستخرج منها الكثير من المظاهر الفنية، ومنها :

- لو : في مفهومها التقليدي حرف إمتناع لوجود، لكن دلالتها في هذه الآية تفيد تحقيق الشيء الذي لايتحقق عند المتلقي القرآني من خلال أن الله لو أراد إنزال هذا القرآن على جبل لصار الجبل خاشعا ومتصدعا في آن معا على سبيل الحقيقة، وليس على سبيل المجاز .
- الإستعارة : تحققت الإستعارة في الآية الكريمة خمس [٥] مرات، وبالشكل الآتي:-

(١) ينظر مثلا : المعجم النقدي الحديث / مادة (صورة كلية) .

(٢) الحشر / ٢١ .

- الإستعارة المكنية : من خلال كون المشبه موجوداً هو القرآن الكريم، والمشبه به محذوف مع وجود قرينة تدل عليه هما الخشوع والتصدع اللذان يدلان على الإنسان المؤمن.
- الإستعارة التبعية: وهي التي تتحقق بإضفاء الحياة على الجماد – إضافة الخشوع والتصدع إلى الجبل –، فضلا عما قلناه سابقا من أن الجبل هنا كأنما قال رأيه ضمنا في عظمة الله من خلال خشوعه وتصدعه .
- الإستعارة التخيلية: وهي التي تحققت من خلال الصورة الإعجازية التي حققتها الآية.
- الإستعارة التلميحية: تحققت من خلال وجود دلالة مدحية في الآية.
- الإستعارة التمثيلية: تحققت من خلال عد القرآن الكريم هذه الآية مثلا، إذ قال: ((وتلك الأمثال....)).

- التورية : توجد هذه الثيمة في الآية من حيث أن فيها معنى قريباً هو الدلالات الفنية السابقة التي رصدناها، وهناك معنى بعيد يكون بمثابة رسالة إلى كل كافر وملحد، وهي: إذا كان الجبل – وهوجماد – تأنسن للبوح بعظمة الله، فيجب أن يكون الإنسان مؤمنا بذلك قبل كل شيء .

وبذلك تعاضدت كل هذه المظاهر الفنية مع أفكارها في تحقيق الصورة الكلية للرأي الحر في هذه الآية الكريمة .

المحور الثاني : التشخيص :

هو نوع من أنواع الإستعارة، وهي التي تتعلق بإضافة الحياة الى غير العاقل، أو الجماد[١]. وقد كان للتشخيص في موضوعنا مزية مهمة، وهي أن الرأي الحر مع غير العاقل – الحيوان –، أو الجماد – كالسماوات والأرض – في كتاب الله واقع وليس خيالا، بينما القضية في النص الإنساني قامت أو قعدت لاتخرج عن المجاز مطلقا. ومن الملاحظ أن كل الرأي الذي تقنّع بالتشخيص إتخذ الحوار أساسا في قيامه، وما هذا الحوار إلا لتقوية فضاء الرأي الحر الذي قد يرقى إلى أن يقتنع

(١) ينظر مثلا : المعجم البلاغي / مادة (تشخيص) .

الطرف المقابل به فيتحول بذلك من كلام مجرد إلى تطبيق عملي، فحينما أبت السماء والأرض والجبال أن يحملن الأمانة التي عرضها رب العالمين عليهنَ حملها الإنسان[١]، وحينما جاء الهدهد بالنبأ حول مملكة سبأ، وأعلن رأيه فيها رُفع عنه عقاب سليمان (ع) من جهة، وتحولت مملكة سبأ إلى مملكة موحدة تحت لواء سليمان (ع) من جهة أخرى[٢].

المحور الثالث: التورية:

من المعروف أن التورية هي أن يكون في للفظ معنيان، الأول : قريب، وهو غير مقصود، والمعنى الثاني: بعيد، وهو المقصود[٣] ، وعليه فالرأي الحر الذي ورد في كتاب الله يتضمن معاني بعيدة جدا، الغاية منه خدمة الإنسان بصورة عامة، والإنسان المسلم بصورة خاصة .

المبحث الثامن

الرأي الحر الموجه إلى اللّه تعالى

افردنا هذا النوع من الرأي في مبحث مستقل لكي نبين عظمة الله تعالى، وعدالته، ودعوته إلى الحرية عند كل خلقه، فإذا كان الله خالق الكون يتقبل الرأي من أي عبد من عبيده مهما يكون جنسه، أو نوعه فمن باب أولى أن يتقبل البشر برحابة صدر الآخر المختلف عنه.

ويقسم الرأي الحر الموجه إلى الله تعالى على ثلاثة أقسام، هي:-

- رأي الأنبياء (ع).
- رأي الملائكة.
- رأي إبليس (لع).
- **رأي الأنبياء (ع):**

---

(١) تنظر : الأحزاب / ٧٢ .

(٢) تنظر : النمل / ٢٠ – ٢٦ .

(٣) ينظر مثلا : المعجم البلاغي / مادة (تورية) .

يتحدد رأي الأنبياء (ع) الحر الموجه إلى الله تعالى بنبيين فقط، وهما كل من: النبي إبراهيم (ع)، والنبي موسى (ع). وقد كان رأي هذين النبيين حساساً جدا، فالنبي إبراهيم (ع) سأل ربّ العالمين كيف يحيي الموتى، في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾[1] .

أمَا النبي موسى (ع) فقد كان رأيه الموجه إلى الله تعالى قوامه أن يرى الله جهرة، وهذا ظاهر في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

في النصين السابقين يستبعد أي متلق أن يكون الأمر السابق – في الآيتين – صادرا من أي نبي، لكننا نرى أن السبب فيه، هو شيء واحد، مؤداه اثبات قدرة الله أمام الجاحدين بها من أقوام النبيين السابقين، ومن ثم إثبات أحقية النبوة لهما بعـــدما شك قومهما بهما .

ومن الملاحظ أن النصين السابقين قاما على قضيتين فنيتين مهمتين، هما:-

- الحوار (الدرامي): الذي رفع من وتيرة أحداث السرد في كل آية ثم جعله يصب في فضاء واحد ألا وهو الوعظ والإرشاد .
- الدعاء: وهو ماتركز في النصين السابقين شفرةً لهداية الضالين والملحدين .

- **رأي الملائكة :**

لهذا الرأي أهمية كبيرة في كتاب الله، فالملائكة لم يعرضوا رأيا إعتياديا، وإنما هو معارضة واضحة – وهذا فيه إشكال كبير – لأمر أقره ربّ العالمين

(١) البقرة / ٢٦٠ .

(٢) الأعراف / ١٤٣ .

بإقرار آدم (ع) ممثلا لله على الأرض بوضعه خليفة له، فحينما طرح ربُّ العالمين سؤالا عليهم، ولم يستطيعوا الإجابة عن السؤال، وأجاب آدم (ع) طلبوا المغفرة من الله تعالى. وذلك كله واضح في قوله عزّ وجل : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1].

فالملائكة هم الاقرب الى الله ومنه، ومع ذلك اعترض هؤلاء على توريث آدم (ع) من قبل رب العالمين الأرضَ من دون الإعتماد على علم الغيب الذي لايعلمونه مطلقا، ولكن بالقياس على من سبق آدم (ع)[2].

وقد قامت الآيات السابقات على نظريتين، هما : –

- نظرية الكناية – أي أن تطلق لفظا، أو تعبيرا ما، لكن لاتأتي إلى ماهو مستعمل بكثرة، وانما إلى شيء آخر هو تاليه، أو ردفه[3] ، وتحقق عن طريق (اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء)، و (الأسماء) .
- نظرية العلم من حيث أن الرأي المتسرع، أو الخطأ، أو الذنب قائم على نظرية العلم، فالذي يتأمل ولايتسرع هو العالم، والعكس صحيح .
- **<u>رأي إبليس (لع):</u>**

من المعروف أن إبليس كان قبل عصيانه زعيم الملائكة، لكنه أقيل من وظيفته هذه بعد عصيانه لله تعالى[4] ، فحينما خلق الله آدم (ع) أمر جميع الملائكة

(١) تنظر: البقرة / ٣٠ – ٣٣ .

(٢) ينظر مثلا : تاريخ الرسل والملوك ١ / ٣٣ .

(٣) ينظر مثلا : المعجم البلاغي / مادة (كناية) .

(٤) ينظر مثلا : تاريخ الرسل والملوك ١ / ٤٤ .

بالسجود لآدم (ع)، فسجد الجميع إلا إبليس (لع)[١] ، وقد استفهم ربُّ العالمين عن سر امتناع إبليس (ع) عن السجود في القرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾[٢] ، فيبدي إبليس (لع) رأيه بكل وقاحة بقوله: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾[٣]، و ﴿ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾[٤]، و﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾[٥].

وهذا الرأي – وإن كان تعبيرا عن وجهة نظر إبليس (لع) – فإنه ليس رأيا صحيا كونه انطلق من أنانية مطلقة، وكبر غير محدود، وطاغوت كبير. ولهذا فالرأي لم يكن فيه صالح عام مطلقا، فضلاً عن أنه لم يبد أي إعتذار، ولم يطلب المغفرة كما حدث حينما اعترض الملائكة – بجهل كما مرَّ بنا سابقا – على جعل آدم (ع) خليفة الله في الأرض إذ تبع ذلك ندم الملائكة وطلب المغفرة من الله، وهو الذي لم يحدث – مطلقا – من لدن إبليس (لع) .

في نهاية هذا البحث (الخاتمة) حول (الرأي الحر) في كتاب الله تعالى، نجمل أهم النتائج التي توصلنا إليها فيه، وهي : –

١–ورد الرأي الحر في كتاب الله بصورة واسعة دليلاً ثابتاً على حكمة الله وعدله حينما كان يحب أن يسمع رأي عبده فيسمح بذلك، أيّا كان هذا العبد .

٢–نستشف من وراء الآراء الحرة التي سيقت في كتاب الله ضخ خبرة وثقافة للمتلقي القرآني يفيد منها في التعامل في حياته اليومية .

٣–إذا تعود الفرد المسلم على التعبير عن رأيه الحر، فأن ذلك يعد الأساس الروحي للبناء الحضاري الإسلامي .

---

(١) تنظر : البقرة / ٣٤، الأعراف / ١١، الحجر / ٣١ – ٣٢، الإسراء / ٦١، الكهف / ٥٠، طه / ١١٦، ص / ٧٤ – ٧٥ .

(٢) الأعراف / ١٢ .

(٣) السورة والآية أنفسهما.

(٤) الإسراء / ٦١ .

(٥) السورة نفسها / ٦٢ .

٤-لقد أراد الله تعالى – كما نرى – من خلال تثبيت الرأي الحر في تعامل المجتمع الإسلامي جعل هذا المجتمع غاية في القوة لايستطيع أي كان اختراقه .

٥-من خلال الرأي الحر يأخذ الإسلام وجوده الأبدي، وحياته الخالدة، وإلى أن يشاء الله .

٦-لقد حققت الصورة الفنية للرأي الحر في كتاب الله فضاءات إعجازية حينما تحققت الصورة الكلية في أكثر نصوص الرأي الحر القرآني، فضلا عن سيادة الصورة التشخيصية، وصورة التورية في تلك النصوص.

٧-الله سبحانه وتعالى كان عظيما في عرض الرأي الحر الموجه إليه على المستوى الإيجابي، متمثلا بالأنبياء (ع) والملائكة، والرأي السلبي متمثلا بإبليس (لع)، لكي يجعل المتلقي الإسلامي على دراية بكل نتائج الرأي الحر الإيجابي الذي يعود بالفائدة على صاحبه، والرأي السلبي الذي يعود بالضرر الأبدي على من يتبناه.

المصادر والمراجع

١ – المصادر والمراجع العربية : –

- **القرآن الكريم.**
- إبراهيم نصر الله والحراثة خارج مدار السرد/ د. قاسم ساجد (مجلة الجامعة الأمريكية – بيروت – ع٢ – ١٩٩٦) .
- الإجتهاد في الفكر الإسلامي/ د . لوزي بارودو/ واشنطن / ٢٠١١ .
- أخبار جحا/ جحا/ دار التراث – بيروت / ط١ / ١٩٧١ .
- أساس البلاغة/ جار الله الزمخشري (ت٥٣٨ هـ)/ دار المعرفة – بيروت/ ط١ / ٢٠٠٤ .
- أسطرة البنية القصصية الشعرية / د . دولي روبيتيه / روما / ١٩٩٩ .
- ألف ليلة وليلة/ مؤلف مجهول/ تحقيق : د : عبد المنعم الدرملي / برلين / ١٩٦٥ .
- الأنا المرتفعة/ د . طاهر حسن/ دار الفارابي – بيروت / ط١ / ٢٠٠٢ .
- إيقاع الصمت في الرواية العربية الحديثة (من ١٩٩٠ – ٢٠٠٠)/ د . ميساء حليم/ دار الشروق – بيروت / ط١ / ٢٠٠٦ .
- تاريخ الرسل والملوك / الطبري (ت٣١٠ هـ) / تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم / دار التراث – بيروت / ط٢ / ٢٠٠٦ .
- تاريخ اليعقوبي/ اليعقوبي (ت٢٨٤هـ)/ دار التراث – بيروت / ط٣ / ١٩٩٩ .
- تحليل الحديث الشريف من وجهة نظر معاصرة / د . سعد جاسر / الكويت / ط١ / ١٩٩٧ .
- تشابك البعد الروائي مع البعد المسرحي عند عبد الرحمن الربيعي/ د . حسام السعيد/ دار الفكر – بيروت / ط١ / ١٩٩٩ .
- تشضي الفكر/ د . زامل كامل / دار ابن سينا – بيروت / ط١ / ٢٠٠٨ .
- التصنيم في الخطاب الإجتماعي الإنساني/ د . ثناء عبد الهادي (مجلة كلية الآداب – جامعة الفيوم – ع١ – ٢٠٠١) .

- التفسير الكبير/ الفخر الرازي (ت٦٠٤هـ)/ دار التراث – بيروت/ ط١ /١٩٨٨ .
- التفكير الثقافي العربي/ د . حامد علام (مجلة كلية التربية – جامعة الخرطوم – ع١ – ١٩٩٣) .
- تقنيات المنهج الأسلوبي في سورة يوسف – دراسة في التركيب والدلالة – / د . حسن عبد الهادي الدجيلي/ دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد/ ط١/ ٢٠٠٥ .
- الثقافة والمثقف/ د . أحمد حسن/ دار الفكر – بيروت / ط١ / ١٩٩١ .
- الثنائيات المتضادة في الفكر الإسلامي التطبيقي/ د . صالح علي/ دار الحداثة – بيروت / ط١ / ٢٠٠٠ .
- جامع البيان في تأويل آي القرآن/ الطبري (ت٣١٠هـ)/ دار التراث – بيروت/ ط٢ / ٢٠٠١ .
- الجدل وجدل الجدل/ د. حازم سليم / دار الفكر – بيروت / ط١ / ١٩٩٢ .
- جدليات التوتر/ د. حازم سليم (مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة – ع١ – ١٩٨٨) .
- جدليات السلطة الإنسانية/ د. حازم سليم/ دار الفكر – بيروت / ط١ / ٢٠٠٥ .
- الجن في الثقافة الإنسانية / د . كارلوس نيوزي / روما / ١٩٦٦ .
- الجواهري ومعارضته شعريا / د . جاسم العلي (مجلة كلية الآداب – جامعة البحرين – ع٢ – ١٩٩٤) .
- الحقيقة البلاغية في مدح الإمام السَجَاد (ع) في قصيدة الفرزدق / د . ثائر سمير الشمري، د . حسن عبد الهادي الدجيلي (ضمن كتاب حوار الحداثة / دار العلاَمة الحلي – بابل / ط١ / ٢٠١٣) .
- الحوار الفلسفي في بنية الخطاب القرآني/ د . سوزان حمدي/ دار الجنان – بيروت/ ط١ / ٢٠٠٠ .
- الحوار في الخطاب القرآني / د . جليل سعيد / دار ابن سينا – بيروت / ط١ / ١٩٩٨ .
- الحوار في الفلسفة/ د . قاسم محمود / دار الفارابي – بيروت / ط١ / ١٩٩٥ .

- الحوار النسوي في المجتمع الذكوري/ د . كميليا روبي / دار الفكر – بيروت / ط١ / ١٩٩٩ .
- الخطاب الذكوري في البنية الاجتماعية العربية/ د . كارلوس زونيشا/ البرازيل/ ١٩٩٤ .
- دراسات نقدية في الأدب العربي/ د . محمود عبد الله الجادر/ مطابع التعليم العالي العراقية / ط٢ / ١٩٩٢ .
- دراسة بايرسايكلوجية في سايكلوجية الجن / د . ليث عبد الصمد / دار الشروق – بيروت / ط١ / ٢٠٠٦ .
- الدكتاتورية الأبوية في العالم / د . كارلوس زونيشا / البرازيل / ٢٠٠٤ .
- الدكتاتورية الإجتماعية/ د . قاسم سلام / دار الفكر – بيروت / ط١ / ٢٠٠٠ .
- ديوان أبي تمام / أبو تمام (٢٣١ هـ)/ دار الفكر – بيروت / ط١ / ١٩٨٨
- ديوان سقط الزند/ أبو العلاء المعري (٤٩٥ هـ)/ دار الثقافة – بيروت/ ط١ / ١٩٧٧ .
- ديوان الفرزدق/ همام بن غالب (ت١١٠هـ)/ دار الكتب العلمية – بيروت/ ط١/ ١٩٩٤ .
- ديوان اللزوميات/ المعري/ دار الكتب العلمية – بيروت / ط١ / ١٩٩٧ .
- ديوان المتنبي/ المتنبي (ت٣٥٨ هـ)/ تحقيق : د : عبد الرحمن البرقوقي/ دار الجيل – بيروت / ط١ / ١٩٨٥ .
- السجون في التاريخ الإسلامي/ د . جوزيف موني / برلين / ١٩٦٢ .
- سرد القصيدة وقصيدة السرد/ د . فارس حلمي/ دار الفارس – عمان / ط١ / ١٩٩٦ .
- السرد وشعريته في الخطاب الأدبي التسعيني/ د . ثائر علي/ دار الفكر – بيروت/ ط١ / ٢٠٠٤ .
- سعيد بن جبير/ د . عادل سالم / بيروت / ط١ / ١٩٦٨ .

- السلطة الأبوية في الفكر الإجتماعي العربي/ د . عزَام عبد الكريم/ دار الغد – بيروت/ ط١ / ١٩٨٨ .
- سنفونية الوتر المتخلخل في المجتمع الراهن/ د . خالد حسني/ دار الحداثة – بيروت/ ط١ / ٢٠١٠ .
- السيرة النبوية/ ابن هشام (ت٢١٨هـ)/ دار التراث – بيروت / ط٢ / ١٩٨٦ .
- سيناريو التفكير الإجتماعي/ د. خالد حسني/ دار الحداثة – بيروت/ ط١/ ٢٠٠٧ .
- شخصية العقل البشري / د . علي سمير / دار الحداثة – بيروت / ط١ / ٢٠٠٤ .
- شعر محمود الوراق / تحقيق : د : لورد جوليفيه / جينيف / ١٩٥٥ .
- الشكليات وما بعدها في الكتب العربية في العصور الماضية / د . هناء صالح / دار الفكر – بيروت / ط١ / ١٩٧٤ .
- الصعاليك وتطور الفكر الجاهلي/ د. جليل علاء/ دار الجيل – بيروت/ ط١/ ١٩٨٨
- الصعلكة المعارضة الجاهلية/ د. جليل علاء/ دار التراث – بيروت / ط١ / ١٩٨٦
- الصورة الفنية عند أحمد مطر/ د . علي أبو محمود/ دار الحداثة – بيروت/ ط١/٢٠٠٥ .
- الصورة الفنية عند ابن شهيد الأندلسي/ د. سميرة جابر / دار الفكر – بيروت / ط١ / ١٩٩٩ .
- الصورة الفنية عند ابن العميد/ د. كامل سرحان/ دار الشروق – بيروت/ ط١ / ١٩٩٧ .
- الصورة الفنية في الشعر الجاهلي / د . أيمن سعيد / دار التراث – بيروت / ط١ / ١٩٩٤ .
- ظاهرة التصعلك في الفكر الجاهلي – دراسة فلسفية – / د . علياء حسين / دار الفكر – بيروت / ط١ / ١٩٨٢ .
- العيون في السلطة العباسية / د . علوي إسماعيل (مجلة كلية الآداب – جامعة الإسكندرية – ع١ / ١٩٨٢) .

- الفكر الإجتماعي المتعالي / د . خولة جاسر / الكويت / ١٩٩٥ .
- الفكر الحر ومشاكل العصر / د . خولة جاسر / الكويت / ١٩٩١ .
- الفكر الديني عند سعيد بن جبير / د . عادل سالم / بيروت / ط١ / ١٩٧٠ .
- الفكر الرسالي في شعر المتصوفة / د . علي أبو سعيد (مجلة الفصول الأربعة الليبية – ع٢ – ١٩٩٤) .
- فلسفة التفكير العقلي / د . لورد جوليس / روما / ١٩٧٢ .
- في ظلال القرآن / سيد قطب / دار الحديث – القاهرة / ط١ / ٢٠٠٠ .
- القبيلة الجاهلية سلطة العرب/ د. هادي حسن (مجلة كلية التربية – جامعة الخرطوم – ع١ – ١٩٩٠) .
- القبيلة وأبعادها في الشعر العربي قبل الإسلام / د . هادي حسن / دار التراث – بيروت / ط١ / ٢٠٠٠ .
- القبيلة وتفصيلاتها في الفكر العربي قبل الإسلام / د . هادي حسن / دار التراث – بيروت / ط١ / ١٩٩٣ .
- قصص الأنبياء / ابن كثير الدمشقي (ت٧٧٤ هـ)/ دار الجنان – بيروت/ ط١/ ١٩٩٣ .
- قصص الأنبياء في الشعر العربي قبل الإسلام – دراسة موضوعية وفنية – / حسن عبد الهادي الدجيلي (رسالة ماجستير مطبوعة على الآلة الكاتبة / كلية الآداب – جامعة بغداد – ١٩٩٧) .
- القصيدة العربية قبل الإسلام – دراسة نقدية – / د . جودت سمير / دار الثقافة – بيروت / ط١ / ١٩٩٨ .
- قواعد التهشيم الإجتماعي / د . لورد ستيفاني / مدريد / ٢٠٠١ .
- كاتدرائيات الحكومة العربية الإجتماعية / د . علاء سامي / دار ابن سينا – بيروت / ط١ / ٢٠١٠ .
- الكشاف عن حقائق التنزيل من عيون الأقاويل في وجوه التأويل / جار الله الزمخشري(ت٥٣٨هـ) / دار التراث – بيروت / ط١ / ١٩٧٢ .

- كليلة ودمنة / ابن المقفع (ت١٤٢هـ)/ دار التراث – بيروت / ط١ / ١٩٧٥.
- لباب الـتأويل / علي بن محمد الخازن (ت٧٢٥ هـ) / تحقيق : طارق عوض الله / دار العاصمة – الرياض / ط١ / د . ت .
- اللباب في علوم الكتاب / عمر بن عادل الحنبلي (ت٨٨٠ هـ) / تحقيق : عادل عبد الموجود، وعلي معوض، وآخرون / دار الكتب العلمية – بيروت / ط١ / ١٩٨٩ .
- لسان العرب/ ابن منظور (ت٧١١ هـ)/ دار التراث – بيروت / ط٢ / ٢٠٠٥
- لعبة الجدل / د . حازم سليم / دار ابن خلدون – بيروت / ط١ / ٢٠٠٩ .
- المبادىء المتوهمة في النظرية النسوية المعاصرة / د . صلاح جميل / دار الآداب – بيروت / ط١ / ١٩٩٧ .
- مجمع البيان / الطبرسي (ت٥٤٨هـ)/ دار الفكر – بيروت / ط١ / ٢٠٠٦ .
- محنة الصدق في الخطاب الثقافي في العصر الوسيط / د . هاني عبد الجليل (مجلة كلية الآداب – جامعة الفيوم – ع٢ – ١٩٩٩) .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر / المسعودي (ت٣٤٦هـ)/ دار التراث – بيروت / ط٢ / ٢٠٠٧ .
- المطرقة والسندان في التيارات الثقافية العربية الحديثة / د . ضيدان سعيد(مجلة كلية الآداب – جامعة لندن – ع١ – ٢٠٠٢) .
- معالم التنزيل / الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦ هـ) / تحقيق : محمد عبد الله النمر، وآخرون / دار طيبة – الرياض / ط١ / ١٩٨٢ .
- المعجم البلاغي / د . لورد ستيواري / برلين / ٢٠٠٥ .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي / دار الحديث – القاهرة / ط١ / ٢٠٠١ .
- المعجم النقدي الحديث / د . بول جوليوسيس / كوبن هاكن / ٢٠٠٠ .
- المناهج الحديثة في تفسير القرآن الكريم / د . حسين رفعت / دار الفكر – بيروت / ط١ / ١٩٩٧ .
- ناطحات الإختلاف الفكري/ د. عماد علي/ دار التراث – بيروت / ط١ / ١٩٩٠ .

- نظرية المناهج النقدية / د . عماد حامد / دار الفكر – بيروت / ط١ / ١٩٩٣
- النقد الإجتماعي عند الشعراء الشعبيين / د . حسن عبد الهادي الدجيلي (صحيفة كل العراق – ع٢ – ٢٠٠٤) .
- نقد الثقافة / د . جوزيف روبيلو / السويد / ٢٠٠٤ .
- النكت والعيون / علي بن محمد الماوردي (ت٤٥٠ هـ) / تحقيق : السيد عبد المقصود / مؤسسة الكتب والعيون – بيروت / ط١ / ١٩٨٢ .
- الهيمنة الإجتماعية / د . كامل جابر / دار الحداثة – بيروت / ط١ / ١٩٩٢
- الواضح في تفسير القرآن الكريم / عبد الله بن محمد الدينوري (ت٣٠٨ هـ) / تحقيق : أحمد فريد / دار الكتب العلمية – بيروت / ط١ / ١٩٧٧ .
- الوحدة الموضوعية والعضوية في القصيدة الجاهلية / د . نوال جاسم / دار جمعة الماجد – دبي / ط١ / ٢٠٠١ .

٢– المصادر والمراجع الأجنبية :

- The culture & AL human: Yonas Quller : London : 1977 .
- Contemporaries culture of tribulation : Roopa Kaio : Moscow : 1988 .
- AN democratic in the world : Jeekar Doon : London : 1991 .
- The democrats in the world: EEOPER BOONTAGOO : AL MAXEEC : 2005 .
- The democrats of history : EEOPER BOONTAGOO : AL MAXEEC : 2008 .
- Gold of methods : Daleada SHonxa : Jerman : 1996 .
- Education of talk: Toor Geen : U . S . A : 1999 .
- Humanly of thought : Toor Geen : U . S . A : 1983 .
- The human of future: Zeeko CHiled : AL SWEED : 1991 .
- The humanly of first : Weet Moon : U . S . A : 1999 .
- Language of light : Iupo Aopa : Athena : 2007 .
- Mind of knights : W . K . L : U . S . A : 1992 .
- The philosophy language : Opar Djeek : Roma : 1999 .